(٨١) ما مَثَلُ الذى يُخبِر بما فعل بأهله .. ؟

عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساءُ قُعودٌ عنده ، فقال : « **لَعَلَّ رَجُلاً يقول ما فعل بأهْله ، ولعلَّ امْرأةً تُخبِرُ بما فَعلتْ مع زوجِها ؟** » فأرَمّ (٤٩٢) القوم ، فقلتُ : إى والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهُنَّ ليفْعَلْنَ ، قال : « **فلا تفعلوا فإنما مَثَلُ ذلك مثلُ شيطانٍ لقِى شيطانَةً فغشِيَهَا والناسُ ينظرون** » . رواه أحمد من رواية شهر بن حوشب .

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى أمر شنيع لا يصدر إلا من جانب الفساق ذكورهم وإناثهم ، وهذا الأمر المشار إليه فى الحديث هو أن الرجل يُحدث الرجل بما فعل مع أهله ، وتُحدث المرأة بما فعلت مع زوجها . إن النبى ﷺ قد شبه الرجل الذى يفعل هذا بشيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون .. فما أروع هذا التشبيه الذى إن دل على شىء(٤٩٣) فإنما يدل على أن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قد أشار إلى جرم كبير يحدث كثيرًا فى كثير من المجتمعات ، بل فى كثير من الاجتماعات التى يغشاها هؤلاء الذين لا خلاق لهم من الذكور والإناث الذين يتباهون بهذا الفسق ، ﴿ .. **وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعًا** ﴾(٤٩٤) ، وحسب هؤلاء الفساق أن يعلموا أنهم بهذا يعملون على ارتكاب جريمة الزنا ــ بأهليهم ـ لأنه عندما يتحدث الرجل منهم مع رفيقه بما كان بينه وبين زوجته أثناء الجماع ـ مثلاً ـ فإن الرفيق هذا سيكون مشغولاً بهذا الموضوع ، وربما خطط مع شيطانه للالتقاء بهذه الزوجة التى حدثه عنها زوجها ، والعكس كذلك هو الصحيح بالنسبة للمرأة مع المرأة . والعياذ بالله .

إننى لا أتصور أبدًا أن يكون هناك رجل سَوِىٌّ يسمح لنفسه أن يُفشِىَ سِرًا بينه وبين زوجته لشيطان من شياطين الإنس ، وكذلك لا أتصور امرأة صالحة تسمح لنفسها بأن تُفشِىَ السر الذى بينها وبين زوجها لشيطانة أخرى من الفاجرات ، إنهما بهذا الفعل من أشر الناس .

---

(٤٩٢) (فارمّ) أى : سكتوا .

(٤٩٣) وقد دل فعلاً على أمر هام .. لأنه كلام الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه الذى لا (ينطق عن الهوى) .

(٤٩٤) سورة الكهف : من الآية ١٠٤ .

فعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة : الرجُل يُفضى إلى امرأته ، وتُفضى إليه ثم ينشرُ أحدهما سِرّ صاحبه** » . وفى رواية : « **إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة : الرجل يُفضى إلى امرأته وتُفضى إليه ثم ينشر سِرَّها** » . رواه مسلم وأبو داود .

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا هذا .. حتى لا يقعا فى هذا المحظور ، وحتى لا يكونا كهذين الفاسقين الفاجرين المشار إليهما فى الحديث .

والله أسأل أن يحفظنا ويحفظ نساءنا من الشر والأشرار ... اللهم آمين .

(٨٢) يا رسول الله .. ماذا يُنْجِى العَبد من النار ؟

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلتُ : يا رسول الله ، ما تقول فى الصلاة ؟(٤٩٥) ، قال : « **تمامُ العمل** »(٤٩٦) ، قلتُ : يا رسول الله تركت أفضل عملٍ فى نفسى أو خيره ؟(٤٩٧) ، قال « **ما هو ؟** » قلتُ : الصوم . قال : « **خيرٌ وليس هناك** »(٤٩٨) . قلتُ : يا رسول الله وأى الصدقة(٤٩٩) ، وذكر كلمة ، قلتُ : فإن لم أقدر ؟ (٥٠٠) قال : « **بفضل طعامك** »(٥٠١) ، قلتُ : فإن لم أفعل ؟(٥٠٢) قال : « **بشِقِّ**

---

(٤٩٥) أى : ما الذى تقوله فى فضل الصلاة ومنزلتها ..

(٤٩٦) يعنى : أنها أفضل الأعمال وخيرها .

(٤٩٧) يعنى أن أبا ذر كان يرى أن أفضل الأعمال وخيرها هو الصيام ، حتى سمع ما قاله الرسول ﷺ فى الصلاة ، و « أو » هنا للشك .

(٤٩٨) أى : ليس هو أفضل الأعمال كما كنت تظن ولكنه من خيرها .

(٤٩٩) لم يذكرها الراوى لأنه نسيها ، وتقديرها أفضل أو أعظم أجرًا ، فقال له : « جهد من مقل أو سر إلى فقير » .

(٥٠٠) يعنى : إن لم أجد ما أتصدق به .

(٥٠١) أى : بما بقى منه ولو لقمة أو لقمتان .

(٥٠٢) لأنه لم يكن لى فضل طعام .

تمرةٍ »(٥٠٣) قلتُ : فإن لم أفعل ؟ قال : « بكلمةٍ »(٥٠٤)، قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : « دع الناس من الشَّرِ(٥٠٥) ، فإنها صدقة تَصدَّقُ(٥٠٦) بها على نفسك » قلتُ : فإن لم أفعل ؟ قال « تُريدُ أن لا تدع فيك من الخير شيئًا »(٥٠٧) . رواه البزار ، واللفظ له وابن حبان فى صحيحه أطول بنحوه ، والحاكم ، ويأتى بلفظه إن شاء الله .

وقد رواه الإمام أحمد عن أبى ذر من حديث عُبيد بن الخشْخاش بألفاظ تختلف كثيرًا عما هنا ، قال أبو ذر : أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد فجلست ، قال : « يا أبا ذر هل صليت ؟ » قلتُ : لا ، قال : « قُمْ فَصَلِّ » قال : فقمتُ فصليتُ ، ثم جلستُ ، فقال : « يا أبا ذر تعوذْ بالله من شرِّ شياطين الإنس والجن » قال : قلتُ : يا رسول الله أو للإنس شياطين ؟ قال : « نعم » قال : قلتُ : يا رسول الله الصلاة ؟ قال : « خير موضوع من شاء أقلَّ ومن شاء أكثر » قال : قلتُ : يا رسول الله فالصوم ؟ قال : « فرضٌ مجزىء وعند الله مزيد » قلت : يا رسول الله فالصدقة ؟ قال : : « أضعافٌ مضاعفة » قلتُ : يا رسول الله فأيها أفضل ؟ قال : « جهد من مقل أو سِرٌ إلى فقير » .

وروى البيهقى ولفظه فى إحدى رواياته قال : سألت رسول الله ﷺ : ماذا ينجى العبد من النار ؟ قال : « الإيمان بالله » ، قلت : يا نبى الله : مع الإيمان عمل(٥٠٨)؟ قال : « أن ترضخ مما خولك الله(٥٠٩) ، وترضخ مما رزقك الله » . قلت : يا نبى الله فإن كان فقيرًا لايجد ما يرضخ ؟ قال : « يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » قلت : إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر ؟ قال : « فليُعن الأخرق »(٥١٠) ، قلتُ : يا رسول الله أرأيت إن كان لا يُحسن أن يصنع ؟ قال : « فليعن مظلومًا » قلتُ :

---

(٥٠٣) أى : بنصفها .

(٥٠٤) وهو رد السائل بالمعروف والعدة الجميلة ، ولين الكلام للناس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(٥٠٥) أى : اجتنب كل ما يؤذى الناس من قول أو فعل ، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

(٥٠٦) أى : تتصدق فحذفت إحدى التاءين للتخفيف .

(٥٠٧) وصدق رسول الله ﷺ فإن من يعجز عن فعل أقل الخير ثم لا يقدر أن يحبس نفسه عن الشر يكون مجردًا من كل خير ولا يكون لوجوده قيمة أصلاً .

(٥٠٨) يعنى : هل هذا الإيمان بمجرده كاف فى النجاة أم يحتاج إلى عمل ؟

(٥٠٩) أى : أن تعطى اليسير مما مَلَّكَ الله وأنعم به عليك ، فالرضخ العطاء القليل ، ومعنى خولك : أى : أعطاك .

(٥١٠) الأخرق : أى : الأحمق الذى لا يحسن عمله .

يا نبى الله أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مظلومًا ؟ قال : « **ما تريد أن تترك لصاحبك من خير ، ليُمسك أذاه عن الناس** » . قلت : يا رسول الله أرأيت إن فعل هذا أيُدْخله الجنة ؟ قال : « **ما من عبد مؤمن يُصيبُ خصلةً من هذه الخصال(٥١١) إلا أخذت بيده حتى تُدخله الجنة** » .

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا ويفهما المراد منه حتى ينتفعا به . . ويقدما لنفسيهما خيرًا ينفعهما هناك : ﴿ **يوم ينظرُ المرءُ ما قدَّمتْ يداه** ﴾(٥١٢) ، وحسبهما ترغيبًا فى هذا ما وقفا عليه فى هذه الروايات التي أرجو أن نكون من المنفذين لما أشارت إليه .... والله ولى التوفيق .

(٨٣) ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟

عن أبى واقد الليثى قال : بينا رسول الله ﷺ جالس فى المسجد إذ أقبل ثلاثةُ نفر(٥١٣) فأقبل اثنان إلى الرسول ﷺ فرأى أحدُهُما فُرجة فى الحلقةِ فجلس ، وجلس الآخر خلفهم ، وأما الثالث فذهب مُدبرًا ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « **ألا أُخبرُكُم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدُهُم فآوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيَا فاستحيا الله تعالى منه ، وأما الآخر(٥١٤) فاعرض فاعرض الله تعالى عنه** » .

أخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يشير النبى ﷺ من خلال إجابته إلى : فضل

---

(٥١١) أى : المتقدمة ومنها كف شره وأذاه عن الناس .

(٥١٢) سورة النبأ : من الآية ٤٠ .

(٥١٣) النفر : الناس كلهم وما دون العشرة من الرجال . وآوى إلى الله ، أى : رجع إليه ، وآواه الله ، أى : حاطه برعايته ، واستحيا : من الحياء وهو فى المخلوق تغير وانكسار يوجد عند ظهور عيب وهو من الإيمان ، وإعراض الله ، أى : عدم مبالاته .

(٥١٤) أى : الثالث .

العلم والعلماء ، وذلك حتى نحرص كل الحرص على أن نكون من الحريصين على طلب العلم النافع الذى هو النور الذى نسير على هداه :

لــولا العلمُ مـــا سَعِـدتْ نفـوسٌ ولا عُـــــــرِف الحلالُ مـن الحرامِ

ولهذا ، فإن النبى صلوات الله وسلامه عليه كان يُرغِّب فى طلب العلم :

فعن أبى هـريرة رضـى الله عنه عن النبى ﷺ قـال : « **مَن نَفَّس(٥١٥) عن مُؤمن كُربة مِن كربِ الدنيا(٥١٦) نَفَّس الله عنه كُربة من كُربِ يوم القيامة ، ومَن يَسّر على مُعسِرٍ يَسّر الله عليـه فى الـدنيـا والآخـــرةِ ، ومن ستر مُسلمًا ستره الله فى الـدنيـا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كَان العبد فى عونِ أخيه ، ومَن سلكَ طريقًا يلتمسُ فيه عِلمًا (٥١٧) سهَّل الله له طـريقًا إلى الجنـة ، وما اجتمع قـوم فى بيت من بيوت الله(٥١٨) يتلون كتاب الله ويتدارسُونه بينهم(٥١٩) إلا نزلت عليهم السكينة(٥٢٠)، وغَشِيتهُم الرحمة ، وحَفَّتهُم الملائكة ، وذكـرهم الله فيمن عنده(٥٢١)، ومنَ بطَّا به عَملُه(٥٢٢) لم يسرع به نسَبُه** » . رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

وعن أبى الـدرداء رضى الله عنه قـال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقـول : « **مَن سلك طريقًا يبتغى فيه عِلْمًا سَهَّل الله له طريقًا إلى الجنة ، و إن الملائكة لتضع أجنحتها رضَاءً لطالب العلم ، و إن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العـالم على العابـد كفضل القمر على سـائر الكواكب . إن العلماء ورثة الأنبياء . إن الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا ، إنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر** » . رواه أبو داود والترمذى واللفظ له .

هذا ،و إذا كان لى بعد هذا التقديم أن أُشير إلى أهم ما عناه النبى ﷺ فى نص الحديث

---

(٥١٥) أى : فَرَّج وأزال .

(٥١٦) أى : شدة من شدائدها .

(٥١٧) أى : سعى إلى جهة يطلب العلم منها .

(٥١٨) أو فى غيرها من بيوت العلم النافع .

(٥١٩) أو يقرأون أحاديث الرسول ﷺ ويفسرونها ويأخذون منها الأحكام .

(٥٢٠) وهى طمانينة القلب بزيادة الإيمان .

(٥٢١) أى فى الملإ الأعلى برفع شأنهم .

(٥٢٢) أى أخره عمله السيء .

ـ الذى ندور حوله ـ فهـو أن النبى ﷺ كان يجلس مع بعض أصحابه فى المسجد حول مائدة من مـوائد علمه النافع ، إذ أقبل عليـه ثلاثة نفر ، فأقبل اثنـان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد .. (قـال) فوقفـا على رسول الله ﷺ ـ أى بجـوار حلقة علمـهِ صلوات الله وسلامه عليه ـ أما أحدهما فرأى فرجَـةً ـ أى محلاً خاليًا ـ فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ـ أى خلف الجالسين فى حلقة العلم ـ وأما الثالث : فأدبر ـ أى رجع ولم يجلس معهم ـ ذاهبًا .. فلما فـرغ رسول الله ﷺ أراد أن يبين لأصحـابه درجـات هؤلاء الثلاثة من الإيمان ، فقال : « ألا أُخبركم عن النفر الثلاثة » ثم قال : « **أما أحدهم** » وهو الذى جلس فى الحلقة « **فآوى إلى الله** » أى : لجأ إليه « **فآوى الله** » أى : جازاه الله على جلوسه فى مجلس العلم بضمه إلى رحمته ورضوانه « **وأما الآخر** » وهو الذى جلس خلف الحلقة « **فاستحيا** » أى : بترك المزاحمة فى مجلس النبى ﷺ « **فاستحيا الله منه** » أى : بترك عقابه ، بل عامله بلطفه وإحسانه « **وأما الآخر** » الذى أدبر ذاهبًا « **فأعرض فأعرض الله عنه** » أى : سخط عليه وعاقبه جزاءً وفاقًا .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى تكون حريصًا على طلب العلم ومجالسة العلماء العاملين . فقد قرأت أن لقمان الحكيم قال لولده فى وصية من أعظم وصاياه : (يا بنى لا تجالس الفجـار ولا تُماشهم ، اتق أن ينـزل عليهم عـذاب من السماء فيصيبك معهم ، وجـالس العلماء والفضلاء .. فإن الله تعـالى يُحيى القلوب الميتَـة بالفضيلـة والعلم كما يُحيى الأرض بوابل المطر) .

والله ولى التوفيق .

❁ ❁ ❁

(٨٤) أىُّ الزَّيَانِبِ هِى ؟

عن زينب الثَّقفِية امرأة عبد الله بن مسعودٍ رضى الله عنه وعنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **تَصدَّقْنَ يا معشَر** (٥٢٣) **النساء ولو من حُلِيِّكُنَّ** » قالت : فرجعتُ إلى عبد الله بن مسعود فقلت له : إنك رجُلٌ خفيف ذات(٥٢٤) اليدِ ،وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأْتِه(٥٢٥) فاسأله فإن كان ذلك يُجزىءُ عَنِّى(٥٢٦) وإلا صرفتُها إلى غيركُم ، فقال عبد الله : بل ائتِه أنتِ ، فانطلقتُ فإذا امرأةٌ من الانصارِ ببابِ (٥٢٧) رسول الله ﷺ حاجتِي حاجتُها ، وكان رسول الله ﷺ قَدْ أُلقِيتْ عليه المهابَةُ فخرج علينا بلالٌ فقلنا له ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتيْنِ بالباب تسالانِكَ : أتُجزِىء الصدقةُ عنهُما على أزواجهِمَا وعلى أيتامٍ فى حُجُورهما(٥٢٨) ولا تُخْبِرهُ مَنْ نحنُ ، فدخل بلالٌ على رسول الله ﷺ فسأله ، فقال لَه رسول الله ﷺ : « **مَن هُما ؟** » قال : امرأةٌ من الانصار ، فقال رسول الله ﷺ : « **أىُّ الزَّيانِبِ هى ؟** » قال : امرأةُ عبد الله ، فقال رسول الله ﷺ : « **لهما أجرانِ : أجر القرابةِ وأجرُ الصدقة** » . متفق عليه .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح ومن خلال إجابته صلوات الله وسلامه عليه يشير الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه إلى الثواب المضاعف الذى سيفوز به من ينفق على ذوى قرباه ، وهو : أجر القرابة ، وأجر الصدقة .

وفى الحديث : « **إن أحق الناس بصرف صدقة التطوع والزكاة والنذر والكفارة والوقف والوصية وسائر وجوه البر الأقارب** » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُكرمْ ضيفَه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت** »(٥٢٩). متفق عليه .

---

(٥٢٣) أى : جماعة .

(٥٢٤) أى : قليل المال .

(٥٢٥) أى : هل يجزىء عنى التصدق عليك وعلى أولادى فأصرفها عليكم .

(٥٢٦) أى : هل يُقبل منى ؟

(٥٢٧) أى : واقفة به .

(٥٢٨) أى : فى ولايتهما وتربيتهما .

(٥٢٩) وإذا كان هذا الحديث قد ذكر قبل هذا فى شرح فتوى سابقة ، فقد أعيد ذكره هنا للاستدلال به فى موقعه . أو لتأكيد المعنى المراد .

قال القاضي عياض : لا خلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة وقطيعتها معصية كبيرة ، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض ، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام وبالسلام ، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة : فمنها واجب ومنها مستحب ، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يُسمَّى قاطعًا ، ولو قصّر عما يقدر عليه وينبغى له لم يُسمَّ واصلاً .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضَيْن أن أصِل مَن وَصلكِ ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذلك لك** » .

ثم قال رسول الله ﷺ : « **اقرءوا إن شئتُم : ﴿ فهل عسيتُم إنْ تولَّيتم أنْ تُفسدوا فى الأرض وتُقطِّعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصَمَّهُم وأعمى أبصارهم ﴾**(٥٣٠) » والحديث متفق عليه .

قال القرطبى : وعليه فالرحم بمعنى القرابة ، وقال القاضى عياض : وقد اختلف فى حد الرحم التى تجب صلتها ويحرم قطعها ، فقيل : هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرًا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما ، فعليه لا يدخل أولاد العم والخال واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى النكاح ونحوه وجواز ذلك فى بنات الأعمام والأخوال ، وقيل : هو عام فى كل ذى رحم من ذوى الأرحام فى الميراث يستوى فيه المحرم وغيره ، ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : « **ثم أدناك أدناك** » أ . هـ ، قال المصنف فى (دليل الفالحين) : والقول الثانى هو الصواب ، ومما يدل عليه قوله ﷺ فى الحديث فى أهل مصر : « **فإن لهم ذمة ورحمًا** » وحديث : « **إن أبَرَّ البر أن يصِلَ الرجل أهل وُد أبيه** » مع أنه لا محرمية والله أعلم .

قال القرطبى : ويخرج من هذا القول أن رحم الأم التى لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم . والصواب ما ذكرناه من أنها قرابات الرجل من جهة طرق آبائه وإن عَلَوْا وأبنائه وإن نزلوا ، وما يتصل بالطرفين من الإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وما يتصل بهم من أولادهم برحم جامعة أ . هـ .

---

(٥٣٠) سورة محمد : الآية ٢٢ ـ ٢٣ .

وفى رواية للبخارى : (فقال الله تعالى) أى للرحم : « **مَن وصَلكِ وصلتُه ، ومَن قطَعكِ قطعتُه** » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحُسن صحابتى ؟ قال : أُمك ، قال : ثم من ؟ قال : أُمك قال : ثم من ؟ قال : أُمك ، قال ؛ ثم منْ ؟ قال : أبوك** »(٥٣١) . متفق عليه .

وفى رواية : « **يا رسول الله من أحق الناس بحُسن الصُّحبة ؟ قال : أُمُّك ، ثم أُمُّك ، ثم أباك ، ثم أدناك أدناك** » . « **والصحابة** » . بمعنى الصحبة وقوله « **ثم أباك** » هكذا هو منصوب بفعل محذوف : أى : ثم بِرَّ أباك ، وفى رواية : (ثم أبوك) وهذا واضح .

وعنه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **رغم أنفُ ، ثم رغم أنفُ ، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدُهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة** » رواه مسلم .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **مَن أحَبَّ أن يُبْسط له فى رزقه ، ويُنسأ له فى أثره فليصل رحمه** » متفق عليه .

ومعنى (يُنسأ له فى أثره) أى يُؤخَّر له فى أجله وعمره .

قال ابن التين : ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى : ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾(٥٣٢) والجمع بينهما إما بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى طاعة الله وعمارة وقته بما ينفعه ، وبقربه من مولاه تعالى ، ويقويه ما جاء من : أنه ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأُعطى ليلة القدر . وحاصله : أن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة المولى وحفظ الأوقات عن الضياع فى غير رضا فيبقى بعده الذكر الجميل ، فكأنه لم يمت ، أو بحمل الزيادة فى الحديث على حقيقتها ، وذلك بالنسبة للأجل المعلق المكتوب فى اللوح المحفوظ للملك ، مثلاً كُتِب فيه : إن أطاع فلانٌ فعمره كذا وإلا فعمره كذا ، والله سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما ، والأجل المحتوم فى الآية على ما فى علم الله سبحانه

(٥٣١) وإذا كان هذا الحديث قد ذكر قبل ذلك فى شرح فتوى سابقة فقد أُعيد ذكره هنا لتأكيد المعنى المراد فى موقعه ..

(٥٣٢) سورة الأعراف : الآية ٣٤ .

الذى لا تغير فيه ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُمُّ الكتاب** ﴾(٥٣٣).

فالحديث فيه ما أشارت إليه أول الآية من الأجل المعلق ، وقوله : ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ ، أشار به إلى العلم الإلهى الذى لا تغير فيه ألبتة ويعبر عنه بالقضاء المبرم ، وعن الأول بالقضاء المعلق ، والوجه الأول ألبق بلفظ حديث الباب ، فإن الأثر ما يتبع الشىء فإذا أُخِّر حَسُن أن يُحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور ... ويؤيده قول إبراهيم الخليل عليه السلام فى القرآن الكريم : ﴿ **واجعل لى لسانَ صدقٍ فى الآخرين** ﴾(٥٣٤).

وجزم ابن فورك بأن المراد بزيادة العمر : نفى الآفات عن صاحب البر فى فهمه وعقله ، وقال غيره : فى أعم من ذلك ، وفى وجود البركة فى رزقه وعمله ونحو ذلك ، والله أعلم.

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام وكن منفذًا للمراد منه ، وإياك أن تكون قاطعًا لرحمك .

فعن أبى محمد جبير بن مطعمٍ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة قاطع** » .

قال سفيان فى روايته : يعنى قاطع الرحم . متفق عليه .

وفى وصية من وصايا الرسول ﷺ كان يقول : « **أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأُعطى من حرمنى ، وأصِل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرًا ، ونطقى ذكرًا ، ونظرى عبرًا** » رواه رُزين .

فكن مقتديًا برسول الله ﷺ .. حتى تكون من أهل البر الصادقين المنفقين .

والله ولى التوفيق .

* * *

---

(٥٣٣) سورة الرعد : الآية ٣٩ .

(٥٣٤) سورة الشعراء : الآية ٨٤ .

(٨٥) أيُّهُمَا أكثرُ أخذًا للقُرآن ؟

عنْ جَـابرٍ رضى الله عنه أن النبـى ﷺ كان يَجمعُ بين الرجُلين مـنْ قتلى أُحُد(٥٣٥) يعنى فى القبرِ ، ثم يقولُ « **أيُّهما أكثرُ أخذًا للقرآن ؟ فإذا أُشير لـهُ إلى أحدهما قدَّمهُ فى اللحْد** »(٥٣٦) . رواه البخارى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « **أرانى فى المنام أتسوَّك بسِواكٍ فجاءنى رجُـلانِ أحدُهُما أكبَرُ من الآخر فناولتُ السِّـواك الأصغرَ ، فقيل لى**(٥٣٧) : **كَبِّر فدفعتُهُ إلى الأكْبرِ**(٥٣٨) **مِنْهُما** » . رواه مسلم مسندًا والبخارى تعليقًا .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ منْ إجْلالِ الله تعالى إكْرامَ ذِى الشيبة المسلم ، وحاملِ القُـرآن غير الغالِى فيه والجافى عنه ، و إكرامَ ذى السُّلطانِ المقْسط** » . حديث حسن رواه أبو داود .

قال ابن بطال ــ مشيرًا إلى الحديث الثانى ـ فيه تقـديم ذى السن ، هذا فى السواك ويلحق به الطعام والشراب والمشى والكلام ..

فلاحظ كل هـذا أخا الإسلام حتى تكون من أهل الفضل الـذين يقدرون إخوانهم من أهل الفضل ..

ففى هذا الحديث الأول ـ وهو حديث صحيح ـ يشير النبى ﷺ من خلال إجابته ، ثم من خلال تقديمه للأكثر أخذًا للقـرآن فى اللحد : إلى مكانة الاكثر حفظًا للقرآن الكريم بالنسبة لإخوانه الذين لا يحفظون مثلـه سُورًا أو آيات من القرآن الكريم ، فإنه إن عُلم هذا عنه يُميَّـز على أقرانه فى الدنيـا ولا سِيما فى الإمامة بالمسلمين .. حتى عنـد الدفن فى اللحد فإنه يُقدم على الذى سيدفن معه (كما أشار الحديث) .

وروى النسائي والترمذى وصححه عن هشام بن عامر ، قال : « شكونا إلى رسول الله ﷺ يوم أحد ، فقلنا : يـا رسول الله الحفر علينا لكل إنسان شـديد ، فقال رسول الله

---

(٥٣٥) سنة أربع هـ للحاجة من كثرة القتلى وقلة العمال .
(٥٣٦) إلى جهة القبلة تشريفًا له .
(٥٣٧) القائل : جبريل عليه السلام .
(٥٣٨) بعد غسله : استعمال الغير له جائز .

ﷺ :« **احفروا ، وأعمقوا ، وأحسنوا ، وادفنوا الاثنين والثلاثة فى قبر واحد** » فقالوا : فمن نُقدم يا رسول الله ؟ فقال : « **قدموا أكثرهم قرآنا** » ، وكان أبى ثالث ثلاثة فى قبر واحد » .

هذا بالنسبة للمنزلة الدنيوية المرئية لنا ، وأما عن المنزلة الأخروية فقد ورد فيها :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويَتَتَعَتعُ فيه ، وهو عليه شاقٌّ له أجران** » .

وفى رواية : « **والذى يقرؤه ، وهو يشتد عليه له أجران** » . رواه البخارى ومسلم واللفظ له ، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة .

قال النووى : (السفرة جمع سافر ككاتب وكتبة ، والسافر الرسول ، والسفرة الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله ، وقيل السفرة الكتبة ، والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة ، والماهر : الحاذق الكامل الحفظ الذى لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه .

قال القاضى : يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له فى الآخرة منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى ، قال : ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم .

وأما الذى يتتعتع فيه : فهو الذى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه فله أجران : أجر بالقراءة ، وأجر بتعتعته فى تلاوته ومشقته .

قال القاضى وغيره من العلماء : وليس معناه أن الذى تتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به ، بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا لأنه مع السفرة ، وله أجور كثيرة ولم يذكر هذه المنزلة لغيره ، وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه ، والله أعلم) أ ، هـ .

ومعنى يشتد عليه أى : تثقل عليه القراءة لعدم حفظه وإتقانه ، أو لأن لسانه غير عربى .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أوصنى ؟ قال : « **عليك بتقوى الله فإنه رأسُ الأمر كُلِّه . قلت : يا رسول الله زدنى . قال : عليك بتلاوة القرآن ، فإنه نور لك فى الأرض ، وذخر لك فى السماء** » . رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث طويل .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ، ورتِّل كما كنت تُرتل فى الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها** » .

رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

(قال الخطابى) : جاء فى الأثر أن عدد آى القرآن على قدر دَرَج الجنة ، فيقال للقارىء : ارق فى الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آى القرآن ، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة فى الآخرة ، ومن قرأ جزءًا منه كان رُقيهُ فى الدرج على قدر ذلك ، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : رَبِّ إنى منعته الطعام والشراب بالنهار فشفِّعنى فيه ، ويقول القرآن : رَبِّ منعته النوم بالليل فشفِّعنى فيه فيشفعان** » .

رواه أحمد وابن أبى الدنيا فى كتاب الجوع ، والطبرانى فى الكبير والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، قال شارح الجامع الصغير (إسناده حسن) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **يجىء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول القرآن : يارب حَلِّه فيُلبَسُ تاجَ الكرامة ثم يقول : يارب زده ، فيلبَس حُلة الكرامة ، ثم يقول : يارب ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارْقَ ويزاد بكل آية حسنة** » . رواه الترمذى ، وحسَّنه وابن خزيمة والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

فلتكن أخا الإسلام من الفائزين بالمنزلة الدنيوية والمنزلة الأخروية بسبب حفظك للقرآن الكريم والعمل بما فيه ..وإلا كان القرآن الكريم حجة عليك لا لك .

فعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **القرآن شافعٌ مشَفَّع ، وماحِل مُصَدَّق ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار** » .
رواه ابن ماجة فى صحيحه .

ومعنى : (شافع) أى : يشفع لأهله يوم القيامة و (مُشَفَّع) اسم مفعول من شفعه بتشديد الفاء إذا أُذِن له فى الشفاعة .

ومعنى (مـاحل) أى : ساع ، وفى الـدعاء : (ولا تجعلـه علينـا ماحـلاً مُصدِّقًـا) ويجوز أن يكون من المماحلة بمعنى المخاصمة والمكايدة .

ومعنى : (من جعله أمامه) أى : ائتم به واتبع وصاياه واتخذه قدوة .

ومعنى : (قاده إلى الجنة) أى : سـار أمامه حتى يُدخله الجنـة بإرشاده إلى كل ما يوصل إليها .

ومعنى : (جعله خلف ظهره) أى : أهمل العمل بـه ونبذه وراء ظهره فكان من أهل النار .

ولتكن أخا الإسلام من أهل الخير الذين يتعلمون القرآن ويعلمونه لغيرهم .

فعن عثمان بن عفان رضى الله عنـه عن النبى ﷺ قال : « **خيركم من تعلم القرآن وعَلَّمَهُ** » . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة وغيرهم .

ففى الحديث الحث على تعلُّم القرآن وتعليمه ، وقد سُئل الثورى عن الجهاد وإقراء القرآن فرجح الثانى واحتج بهذا الحديث ـ قاله فى الفتح .

قال الشرقـاوى : لا ريب أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمـه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدى .

وأما عن الحديث الثانى فإن النبى ﷺ يُرغِّبنا من خلاله فى توقير الكبير وإكرامه .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال قـال رسـول الله ﷺ « **ليس منا من لم يرحم صغيرنـا ويعرف شرف كبيرنا** » . حديث صحيـح رواه أبو داود والترمذى ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وفى رواية أبى داود : « حقَّ كبيرِنَا » .

وعن أنس رضى الله عنه قـال : قال رسول الله ﷺ : « **ما أكرم شابٌّ شيخًا لسِنه إلا قَيَّضَ الله له من يُكرمُه عند سِنه** » . رواه الترمذى وقال : غريب .

وهذا أيضًا هو ما يشير إليه الرسـول ﷺ فى الحديث الثالث ، فقد قال الرسول ﷺ فيه : « **إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم** » . أى : من تعظيمه وتبجيلـه (إكرام ذى) أى : صاحب (الشيبة المسلم) الذى شاب شعره ، أى : ابيض ونفد عمره فى الإسـلام والإيمان فتعظيمـه وتقـديمـه فى الصـلاة بشرطـه على غيره ، وفى المجـامع

والمجالس وفى القبر وغيره والرفق به والشفقة عليه من كمال تعظيم الله لحرمته عند مولاه سبحانه .

(وحامل القرآن) أى : قارئه ، سمى حاملاً لما تحمل فى حفظه من الدرس والمشقة فى تفهمه والعمل بأحكامه وتدبره ، فهو كحامل لمشاق كثيرة تزيد على الأحمال الثقيلة (غير الغالى فيه) أى : المتجاوز الحد فى التشدد والعمل به وتتبع ما خفى منه واشتبه عليه من معانيه ، والكشف عن دقيق علله .

(والجافى عنه) أى : التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه ، فإن هذا من الجفاء وهو البعد عن الشىء .

(وإكرام ذى) أى : صاحب (السلطان) الملك و (المقسط) أى : العادل فى حكمه بين رعيته .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام ، وكُنْ أهلاً لتنفيذه .. والله ولى التوفيق .

(٨٦) من هو التَّيس المستعار ؟

روى ابن ماجة بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **ألا أخبركُم بالتَّيْس(٥٣٩) المستعار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : هو المُحَلِّل لعن الله المُحلِّل والمُحَلَّل له** » .

وروى أبو إسحاق الجوزجانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سُئل رسول الله ﷺ عن المُحلِّل فقال : « **لا ، إلا نِكَاح رغْبة لا نِكَاح دَلسَة(٥٤٠) ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل ثم تذوق العَسِيلة** » .

قال الشيخ ابن حجر الهيثمى فى كتاب « الزواجر عن اقتراف الكبائر » ما ملخصه :

(٥٣٩) التَّيس : هو الذكر من الظباء والمعز والوعول .
(٥٤٠) أى : خديعة وتدليس .

أخرج أحمد والنسائى وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ لعن المحلِّل والمحلَّل له ».

* المحَرِّم من الصحابة :

روى ابن المنذر وابن أبى شيبة وعبد الرزاق والأثرم عن عمر رضى الله عنه أنه قال : لا أُوتَى بمحلِّل ولا مُحلَّل له إلا رجمتهما ، فسئِل ابنه ــ عبد الله ــ عن ذلك فقال : كلاهما زان . وسأل رجل ابن عمر فقال : ما تقول فى امرأة تزوجتها لأُحِلَّها لزوجها لم يأمرنى ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا ، إلا نكاح رغبة . إن أعجبتك أمسكتها ، وإن كَرِهتها فارقْتَها ، وإنَّا كُنَّا نُعِدُّ هذا سِفَاحًا(٥٤١)، على عهد رسول الله ﷺ .

وسئِل عن الرجل الذى طلق ابنة عمه ثم ندم ورغب فيها ، فأراد أن يتزوجها رجل ليُحلِّها له ؟ فقال : كلاهُما زانٍ ، وإن مكثَ عشرين سنة أو نحوها إذا كان يعلم أنه يُريد أن يحِلَّها .

وسُئِل ابن عباس رضى الله عنهما عمن طلق امرأته ثلاثًا ثم ندِم ؟ فقال : هو عصى الله فأندمهُ ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجًا .

* تحريمُ الفقهاء من التابعين :

قال الترمذى : و العمل على التحريم عند أهل العلم ، منهم عمر وابنه وعثمان (رضى الله عنهم) وهو قول الفقهاء من التابعين .

ونقل ابن حجر عن الحسن البصرى أنه قال : إذ همَّ أحَدُ الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد .

وعن النخعى أنه قال : إذا كانت نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل : فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول .

وعن ابن المسيب أنه قال : من تزوج امرأة ليُحلَّها لزوجها الأول لم تحل له .

---

(٥٤١) سفاح : أى : فجور .

* المُحَرِّمُ مِنَ الأئمَّة :

نقل ابن حجر التحريم عن الإمام مالك والليث وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل .

ونُقل عن أحمد أنه سُئِل : عمن تزوج امرأة وفى نفسه أن يُحلها للأول ولم تعلم هى بذلك ؟ فقال : هو مُحلل ، وإذا أراد بذلك التحليل فهو ملعون .

وقد أخذ المحرِّمون للتحليل وهم أهل العلم من الصحابة والفقهاء من التابعين والأئمة السابقين بإطلاق الأحاديث السابقة .

وقال الإمام الشافعى : إن التحريم محله إذا شرط التحليل فى صلب العقد . أ . هـ . كلام ابن حجر .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام ، وذكِّر الغافلين الجاهلين به حتى لا يقعوا فى هذا المحظور الذى أسأل الله تعالى أن يعافينا منه .... آمين .

(٨٧) ومَا طِينَةُ الخَبَالِ .. يا رسول الله ؟

عن جابر رضى الله عنه أن رجلاً قَدِم من جيشانَ ـ وجيشان من اليمن ـ فسأل رسول الله ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **أو مُسكرٍ هو ؟ قال : نعم . قال رسول الله ﷺ :كُلُّ مسكر حرام ، وإن عند الله عهدًا لمن يشربُ المسكر أن يسقيه من طينة الخبال . قالوا : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عرقُ أهل النار ـ أو عصارة أهل النار** » رواه مسلم والنسائى .

وروى الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى : « **كُلُّ مسكرٍ خمر ، وكل خمر حرام** » .

وروى أبو داود : « **لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها**(٥٤٢) **وبائعها**

---

(٥٤٢) مبتاعها : أى : مشتريها .

وعاصرها ومعتصرها[٥٤٣] وحاملها والمحمولة إليه » رواه ابن ماجة وزاد : « **وآكل ثمنها** » .

وروى الحاكم : « **من زَنىَ وشَرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسانُ القميصَ من رأسه** » .

وروى الطبرانى : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُشربُ عليها الخمر** » .

وروى أحمد بسند رجاله رجال الصحيح : « **مدمن الخمر إن مات** ـ أى : من غير توبة ـ **لقى الله كعابد وثن** » .

وروى أحمد واللفظ له والنسائى والبزار والحاكم وصححه : « **ثلاثة قد حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مُدمن الخمر ، والعاق ، والديُّوثُ الذى يُقِرُّ فى أهله الخبث** » .

وروى الطبرانى وابنا خزيمة وحبان فى صحيحيهما والبيهقى : « **ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق[٥٤٤] حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو** » .

كفانا الله جميعًا شر السُّكْر وأهله ... آمين .

* * *

---

(٥٤٣) ومعتصرها : أى : طالب عصرها .

(٥٤٤) الآبق . أى . الهارب من سيده .

(٨٨) ما هُو البِرُّ ، وما هو الإثم ؟

عن النَّوَّاس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **البِرُّ حُسْنُ الخُلُق ، والإثْمُ ماحَاكَ فِي نَفْسِكَ وكرِهتَ أنْ يطَّلعَ عليهِ الناسُ** » . رواه مسلم .

وعن وابصة بن معبدٍ رضى الله تعالى عنه قال : أتيتُ رسول الله ﷺ فقال : « **جِئْتَ تَسألُ عن البِرِّ ؟ قُلت : نعم ، قال : استفْتِ قلبَك ، البِرُّ : ما اطمأنَّتْ إليهِ النفْسُ واطمأنَّ إليْهِ القلبُ ، والإثْمُ : ما حاكَ فى النفْسِ وتردَّد فى الصَّدر وإنْ أفتاكَ النَّاسُ وأفتوْكَ** » .

حديث حسن رويناه فى مسندى الإمامين أحمد بن حنْبلٍ والدارمى بإسناد حسن .

وقد قال الإمام النووى فى شرح الأربعين النووية حول قوله ﷺ : « **والإثم ماحاك فى نفسك** .. » . أى : اختلج وتردد ولم تطمئن النفس إلى فعله ، وفي الحديث دليل على أنه : يجب على الإنسان أن يُراجع قلبه إذا أراد الإقدام على فعل شىء فإن اطمأنت عليه النفس فعله ، وإن لم تطمئن تركه .. ثم يقول : ويُروى أن آدم عليه الصلاة والسلام أوصى بنيه بوصايا منها أنه قال : إذا أردتم فعل شىء فإن اضطربت قلوبكم فلا تفعلوه ، فإنى لما دنوت من أكل الشجرة اضطرب قلبى عند الأكل .

ومنها أنه قال : إذا أردتم فعل شىء فانظروا فى عاقبته فإنى لو نظرت فى عاقبة الأكل ما أكلتُ من الشجرة .

ومنها أنه قال : إذا أردتم فعل شىء فاستشيروا الأخيار ، فإنى لو استشرت الملائكة لأشاروا علىَّ بترك الأكل من الشجرة .

ثم يقول النووى ، حول قوله ﷺ : « .. **وكرهت أن يطلع عليه الناس** » لأن الناس قد يلومون الإنسان على أكل الشبهة وعلى أخذها ، وعلى نكاح امرأة قد قيل أنها أُرضعت معه ، ولهذا قال ﷺ : « **والإثم ما حاك** » كيف وقد قيل .. وكذلك الحرام إذا تعاطاه الشخص يكره أن يطلع عليه الناس ، ومثال الحرام : الأكل من مال الغير فإنه يجوز إن كان يتحقق رضاه ، فإن شك فى رضاه حرم الأكل .. وكذلك التصرف فى الوديعة بغير إذن صاحبها ، فإن الناس إذا اطلعوا على ذلك أنكروه عليه وهو يكره اطلاع الناس على ذلك لأنهم ينكرون عليه .

كما يقول بعد ذلك حول قوله ﷺ : « .. **ما حاك فى النفس و إن أفتاك الناس وأفتوك** » . مثاله : الهدية إذا جاءتك من شخص غالب ماله حرام وترددت النفس فى حِلها ، وأفتاك المفتى بحل الاكل فإن الفتوى لاتُزيل الشبهة ، وكذلك إذا أخبرته امرأة بانه ارتضع مع فلانة ، فإن المفتى إذا أفتاه بجواز نكاحها لعدم استكمال النصاب(٥٤٥) لا تكون الفتوى مزيلة للشبهة بل ينبغى الورع وإن أفتاه الناس .. والله أعلم.

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى تكون من أهل البر لا من أهل الإثم ، لأن البر : اسم جامع لكل خير ، والإثم : اسم جامع لكل شر .. فلتكن من أهل الخير لا من أهل الشر .. والله ولى التوفيق .

(٨٩) سلُوهُ لأيِّ شىءٍ يَصْنَعُ ذَلِك ؟

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجُلاً على سَريةٍ (٥٤٦) فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيخْتِمُ بـ ﴿ **قُل هُو الله أحدٌ** ﴾ فلما (٥٤٧) رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : « **سلُوه** (٥٤٨) **لأيِّ شىءٍ يصنعُ ذلكَ** ؟» فسألوه . فقال : لأنها صِفة الرحمن (٥٤٩) فأنا أُحبُّ أن أقرأ بها ، فقال رسول الله ﷺ : « **أخْبِرُوهُ أن الله تعالى يحبُّهُ** » . متفق عليه .

ففى هذا الحديث الشريف المتفق عليه يشير الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من خلال تساؤله بل وإجابته إلى فضل قراءة ﴿ **قُلْ هو الله أحدٌ** ﴾ كما يشير أيضًا

---

(٥٤٥) أى : عدد الرضعات .. التى اختلف فيها الفقهاء ...

(٥٤٦) قطعة من الجيش .

(٥٤٧) أى : عادوا من السرية .

(٥٤٨) سألوه ليرتب جزاءه على حسن نيته .

(٥٤٩) لأنها اشتملت على توحيد الله جل وعلا ، وما يجوز فى حقه من توجيه الخلق حوائجهم إلى الله وقصدهم إياه سبحانه فى سائر أمورهم وما يستحيل فى حقه من كونه والدًا أو مولودًا .

فى نفس الوقت إلى مكـانة هذا الرجل الـذى يكثر من قراءتها عند الله تبـارك وتعالى الذى يحبه لأنه عرف صفتـه سبحانه وتعالى وأنه الرحمن .. أو لأنـه فعل ما يوجب محبة الله عز وجل له وهـو محبته لقراءة السورة المتضمنة لصفات الـرب جل شأنه ، ومحبة الله للعبد صفة له سبحانه على ما يليق به تقتضى إكرامه وإثابته وتقريبه .

وحتى تعـرف أخا الإسلام فضـل قراءة ﴿ **قُلْ هـو الله أحـدٌ** ﴾ إليك كذلـك هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هـريرة رضى الله عنـه قال : قـال رسول الله ﷺ : « **احشدوا(٥٥٠) فإنى سأقرأ عليكم ثُلث القرآن** » فحشد من حشد (٥٥١) . ثم خرج النبـى ﷺ فقرأ : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ثم دخل . فقال بعضنا لبعض : إنا نـرى هذا خبرًا جاءه من السماء فذلك الذى أدخله ، ثم خرج نبى الله ﷺ فقال : « **إنى قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا إنها تعدل ثُلثَ القرآن** » . رواه مسلم والترمذى .

وقـد قيل : إن معنى كـونها ثلث القـرآن إن القـرآن مشتمل على ثلاثـة مقـاصـد أساسية : عقائد ، وقصص ، وأحكام ..

﴿ **قُلْ هو الله أحدٌ** ﴾ متمحضة للعقيدة فهى جزء من ثلاثة أجزاء ، وقيل معناه : أن ثواب قراءتها يضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف ، والله أعلم .

وعن أبى الـدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قـال : « **أيعجز أحدكم أن يقرأ فى ليلة ثلث القرآن** ». قالوا : وكيف يقـرأ ثلث القرآن ؟ قال : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن .

وفى رواية قال : إن الله عز وجل جزَّأ القرآن بثلاثة أجزاء فجعل ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ جزءًا من أجزاء القرآن . رواه مسلم .

وقـد ورد بـالنسبة للحـديث الـذى نـدور حـوله والـذى رواه البخـارى ومسلم والنسـائى ، فى رواية للبخارى والترمذى عن أنس رضى الله عنه أنه قال فى آخره :

فلما أتاهم النبى ﷺ أخبروه الخبر فقال : « **يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحـابك وما يحملك على لزوم هـذه السورة فى كل ركعة ؟ فقـال : إنى أُحبها ، فقال : حُبُّك إياها أدخلك الجنة** » .

---

(٥٥٠) أى : اجتمعوا .

(٥٥١) يعنى : اجتمع مَنِ اجتمع .

وقد يسأل الأخ المسلم عن معنى ﴿ قُلْ هو الله أحدٌ ﴾ ، فإن المعنى هو أن الله تعالى هو الواحد الأحد الذى لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ..

ولا يطلق هذا اللفظ على أحد فى الإثبات إلا الله عز وجل لأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله .

و ﴿ الله الصَّمدُ ﴾ أى : السيد الـذى كمـل فى سُؤدده ، والشريف الـذى قد كمل فى شرفه ، والعظيم الذى كمل فى عظمته ، والحليم الـذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى علمـه ، والحكيم الذى قـد كمل فى حكمته ، وهـو الذى قد كمـل فى أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغى إلا له .

وقال الربيع بن أنس : هو الذى لم يلد ولم يولد .

وقال الشعبى : هو الذى لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب .

وقال عبد الله بن بريدة : ﴿ الصَّمدُ ﴾ نور يتلألأ

وقال الحسن وقتادة : هو الباقى بعد خلقه .

وقال الحسن أيضًا : ﴿ الصَّمدُ ﴾ الحى القيوم الذى لا زوال له .

وقال مجاهد فى معنى : ﴿ ولم يكن له كُفُوًا أحد ﴾ أى : لا صاحبة له ، ولكن اللفظ أعم من ذلك ، فهو نفى للكفـؤ كله ، ومعنى الكفؤ المكافىء ، أى : ليس لـه من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه .

فافهم كل هذا أخا الإسلام حتـى تحرص على أن تكون منتفعًا بكل هذا الخير الذى وقفتَ عليه .. والله ولى التوفيق .

❁ ❁ ❁

(٩٠) أقَتلْتهُ بعد ما قال : لاَ إله إلا الله ؟

عن أُسامة بن زيدٍ رضى الله عنهما قال : بعثَنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقَةِ (٥٥٢) من جُهيْنَـة فصبَّحنا القـومَ على مِيـاهِهِمْ ولحِقْتُ أنا ورَجُـلٌ من الأنْصارِ رَجُـلاً منهُم فلمّا غَشيْناهُ(٥٥٣) قال : لا إلـه إلا الله ، فكفَّ عنه الأنصـارُ وطعنتهُ بـرُمحي حتّى قتلْتُهُ فلمّا قدِمنَا المدِينة بلغ ذلك النبى ﷺ فقال لى(٥٥٤) : « **يا أُسامة أقتلْتهُ بعدما قال : لا إله إلا الله ؟** » (٥٥٥) قلتُ : يا رسول الله إنما كـان مُتعوِّذًا . فقال « **أقتلْتهُ بعدما قال : لا إله إلا الله ؟! فما زال يُكـرِّرُهَـا علىَّ حتى تمنَّيْتُ أنِّى لمْ أكُنْ أسلمْتُ قبل ذلك اليـوم** » . متفق عليه .

وفى رواية : فقال رسول الله ﷺ : « **أقال لا إله إلا الله وقتلتـه ؟ قُلتُ : يا رسول الله إنَّما قالها خوفًا من السلاح . قـال « أفـلا شـققْتَ عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ » فما زال يُكرِّرُها حتى تمنيتُ أنِّى أسلمتُ يومئذ** » .

وعن جُندُب بن عبد الله رضى الله عنـه أن رسول الله ﷺ بعث بعْثًا مِن المسلمين إلى قومٍ من المشركين وأنهم التقوا ، فكـان رجُلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجُلٍ من المسلمين قصَد له فقتله ، وأن رجُلاً من المسلمين قصد غفْلته وكُنا نتحدث أنه أُسامة بن زيدٍ فلما رفع عليـه السيف قال : لا إلـه إلا الله ، فقتله ، فجـاء البشيرُ إلى رسول الله ﷺ فسألـه وأخبره حتى أخبرهُ خبر الرجُل كيف صنع ، فـدعاه فسـألـه ؟ فقـال : « **ولِمَ قتلتهُ ؟ فقال : يا رسول الله أوْجع(٥٥٦) فى المسلمين وقتل فُلانًا وفلانًا ـ وسَمَّى له نفرًا(٥٥٧) ـ وإنى حملتُ عليه ، فلما رأى السيف قال : لا إله إلا الله . قال رسول الله ﷺ : أقتلتـهُ ؟ قـال : نعـم . قـال : فكيف تصنعُ بـلا إلـه إلاّ الله إذا جـاءت يـوم القيامة(٥٥٨) ؟ قال : يا رسول الله استغفر لِى . قال : وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا**

---

(٥٥٢) (الحُرقة) بضم الحاء المهملة وفتح الراء : بطن من جهينة القبيلة المعروفة .

(٥٥٣) أى . قربنا منه .

(٥٥٤) منكرًا ما فعلته وموبخًا عليه .

(٥٥٥) لأن لا إله إلا الله تعصم قائلها وتجعل دمه محفوظًا .

(٥٥٦) أوجع أى : أوقع الوجع والنكاية .

(٥٥٧) (النفر) : من ثلاثة إلى عشرة .

(٥٥٨) أى : من يشفع لك إذا جاء بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

جاءت يـوم القيامة ؟ فجعل لا يـزيدُ على أن يقول : كيف تصنعُ بـلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة » . رواه مسلم .

هـذا وإذا كـان لى أن أعلق على مـا جـاء فى هـذا الحديث الصحيح ، أو فى هـاتين الـروايتين الصحيحتين على لسان الـرسول ﷺ لأسـامة بن زيـد بعد أن علم أنـه قتل المشرك بعد أن قال (لا إله إلا الله) ، وهـو : (أقتلته ؟) قال : نعم ، قال : (فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة) .. وعندما قال له أسامة مبررًا ما فعله : (إنما قالها خوفًا من السلاح) قال لـه فى تعنيف شديد وفى أسلوب استنكارى : « **أفلا شققتَ عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟!** » .

يقول أسامة : (فمازال يكررها حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ) .

فإن هـذا يشير إلى أن (لا إله إلا الله) تعصم قـائلها وتجعل دمـه محفوظًـا : لأنها كلمة الإسلام ، وهى مفتاح دار السلام ، وهى كلمة التقوى ، وهى العروة الوثقى ، وهى التى قامت بها الأرض والسماوات ، وفطـر الله عليها جميع مخلوقاتـه ، ولأجلها جردت سيـوف الجهـاد ، وهى محض حق الله على العبـاد ، وبها انفصلت دار الكفـر من دار الإيمان ، وتميـزت دار النعيم من دار الشقـاء والهوان ، وهى العمـود الحامل للفـرض والسنة ، ومن كـان آخر كلامـه لا إله إلا الله دخل الجنـة ، وهى الكلمة العاصمـة للدم والمال ، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار ، وهى المنشور الذى لا يدخل الجنة أحد إلا بـه ، والحبل الـذى لا يصل إلى الله إلا من تعلـق بسببـه ، وبها انقسم النـاس إلى شقى وسعيد ، ومقبول وطريد ، فهى وإن كانت كلمة قيدت بالقيود الثقال(٥٥٩)أ . هـ .

وعن ابن عمـر رضى الله تعالى عنهما أن رسـول الله صلى الله تعـالى عليه وعلى آلـه وسلم قال : « **أُمِرتُ أن أُقاتِل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ويقيمـوا الصلاة ، ويـؤتـوا الـزكاة : فـإذا فعلوا ذلك عصمـوا منى دمـاءهم وأموالهم بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى** » . رواه البخارى ومسلم .

يعنى أن من أتى بشهادتين ، وأقام الصلاة وآتى الـزكاة ، عصم دمه وماله ، ثم إن كان فعل ذلـك بنية خالصـة صالحة فهـو مؤمن ، وإن فعلـه تقية وخوفًـا من السيف كالمنافق فحسابه على الله وهو متولى السرائر ، وكذلك من صلّى بغير وضوء أو غُسل من

---

(٥٥٩) كما جاء فى الرسالة الثامنة من « مجموعة التوحيد » لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

الجنابة أو أكل فى بيته وادعى أنه صائم : يُقبل منه وحسابه على الله عز وجل ، والله أعلم(٥٦٠).

وأحب أن يقف الأخ المسلم كذلك على :

❁ حكم النطق بكلمة التوحيد(٥٦١):

فقد قال فى الجزء الأول من (الدين الخالص) : يجب على من نشأ مؤمنًا أن يذكرها فى العمر مرة ناويًا أداء الواجب ، وإلا فهو عاصٍ . ثم ينبغى له الإكثار من ذكرها عارفًا معناها مستحضرًا ما احتوت عليه لينتفع بذكرها دنيا وأخرى ، فتنفجر ينابيع الحِكم من قلبه ، ويرى لها من الأسرار والعجائب إن شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر .

(وأما الكافر) الذى يريد الدخول فى الإسلام ، فذكره لها ليس شرطًا فى صحة إيمانه ولا جزءًا من مفهومه ، وإنما جعل الشرع النطق بالشهادتين (شرطًا) لازمًا لإجراء الأحكام الدنيوية على المؤمن كالصلاة خلفه ، والصلاة عليه ، ودفنه فى مقابر المسلمين ، وتزوجه مسلمة (فإذا لم ينطق) بهما لعذر كالخرس ، أو لم يتمكن من النطق بهما بأن مات عقب إيمانه بقلبه ، أو اتفق له عدم النطق بهما بعد الإيمان بقلبه : (فهو مؤمن) عند الله وناجٍ فى الآخرة (وأما من امتنع) عن النطق بهما عنادًا بعد أن عُرِضَ عليه ذلك : (فهو كافر) والعياذ بالله تعالى ، ولا عبرة بتصديقه القلبى مع هذا الامتناع .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى تفهم لماذا قال الرسول ﷺ لأسامة بن زيد رضى الله عنه ـ وهو من هو ـ ما وقفت عليه ، حتى يكون درسًا لك ولكل فرد من أفراد الأمة المحمدية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ... لأنه لا مُحاباة ولا مُجاملة فى الإسلام .

نسأل الله تعالى العفو والعافية ... اللهم آمين .

---

(٥٦٠) كما جاء فى الأربعين النووية فى شرح الحديث الثامن .

(٥٦١) كما جاء فى الجزء الأول من (الدين الخالص) صفحة ١٢٨ .

(٩١) أَتَرضَوْنَ أن تَكُونُوا رُبُعَ أهلِ ٱلجنَّةِ ؟

عن ابن مسعودٍ رضى الله عنه قال : كُنَّا مع رسول ٱلله ﷺ فى قُبَّةٍ نحوًا من أربعينَ فقالَ : « **أترضَوْنَ أن تَكُونُوا رُبُعَ أهلِ ٱلجنة؟** » .

قلنا : نعم .

قال : « **أترضَوْنَ أن تكونوا ثُلُثَ أهلِ ٱلجنةِ؟** » .

قلنا : نعم .

قال : « **وٱلذى نفسُ مُحَمَّدٍ بيده إنِّى لأرجو أن تكونُوا نصفَ أهل ٱلجنة ، وذلك أنَّ ٱلجنةَ لا يدخُلُها إلا نفسٌ مُسلمةٌ ، وما أنتم فى أهل الشرك إلا كالشعرةِ البيضَاءِ فى جِلدِ ٱلثَّورِ ٱلأسود ، أو كالشعرةِ ٱلسوداء فى جِلد ٱلثورِ الأحمر** » متفق عليه .

فكن أخا الإسلام منتفعًا بهذا الحديث الشريف الصحيح الذى وجَّه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فيه سؤالاً إلى أصحابه الفضلاء ، قال فيه : (أترضَوَن أن تكونوا رُبُع أهل الجنة ؟) فقالوا : نعم . ثم قال لهم : (أترضَون أن تكونوا ثُلث أهل الجنة؟) فقالوا : نعم .. ثم بعد أن أجابوه عن سؤاليه قال لهم مبشرًا إياهم وإيانا بتلك البشارة أو البشريات العظيمة التى قال فيها وهو يُقسم بالذى نفسه بيده : (والذى نفس محمد بيده إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، وذلك أن الجنة لا يدخُلُها إلا نفس مسلمة ، وما أنتم فى أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الأحمر) .

ولهذا ، حسبك أخا الإسلام أن تستبشر بهذا .. وأن تعمل دائمًا وأبدًا على أن تكون من أهل التوحيد الخالص حتى تكون إن شاء الله من أهل الجنة لا من أهل النار .. فقد قرأت فى رواية للطبرى أن الله تعالى قال للنار : « **لكِ كل مشركٍ ومشركة وكافرٍ وكافرة وكل خبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ..** » .

هذا مع ملاحظة أن الجنة ليست إلا للموحدين الذين يعبدون الله تعالى وحده عبادة خالصة لوجهه سبحانه وتعالى ..

وليكن هذا هو أهم ماينبغى عليك أن تنتفع به من هذا الحديث الصحيح .. وليكن

فهمك أيضًا من خلاله أن الأمة المحمدية هى خير أمة أُخرجت للناس .. وأن الله تعالى سيرفع قدر هذه الأمة فى الآخرة كما رفع من قدرها فى الدنيا فجعلها بهذا الدين الحنيف أفضل أمة فى مصاف العالمين .. وإلى هذا أشار أحدهم فى قوله :

وممـــا زادنـى شرفًـــا وتيهًـــا ... وكـــدتُ باخمصـى أطأُ الثُّـــريَّـــا
دخـــولى تحت قـــولـك يـــاعبـــادى ... وأن صَيّرتَ أحمد لى نبيّـــــــــا

وإن شاء الله تعالى سيتحقق رجاء الرسول ﷺ فينا وسنكون نحن المسلمين إن شاء الله نصف أهل الجنة الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا منهم ... اللهم آمين .

(٩٢) مَا جاء بكَ يازِرُّ ؟

عن زِرِّ بن حُبَيْشٍ رضى ٱلله عنه قال : أتيتُ صفوانَ بن عَسَّالٍ رضى ٱلله عنه أسأله عن ٱلمسح على ٱلخُفَّين ، فقال : « مَا جَاء بك(٥٦٢) يا زِرُّ ؟ » .

فقلتُ : ابتغاءَ ٱلعلم .

فقال : إنَّ ٱلملائِكَةَ تَضَعُ أجنِحتَها لطالبِ ٱلعِلم رضاءً بما يطلبُ.

فقلت : إنه قد حَكَّ (٥٦٣) فى صدرى ٱلمسح على ٱلخُفين بعد ٱلغائط وٱلبولِ ، وكنتَ ٱمرءًا من أصحاب ٱلنَّبىِّ ﷺ فجئتُ أسألُكَ هل سَمِعتَهُ يذكُرُ فى ذَلِكَ شَيئًا ؟ .

قَالَ : نَعَمْ كَانَ يأمرُنَا إذَا كُنَّا سفرًا ـ أو مسافرين ـ أن لا ننزعَ خِفافَنَا ثلاثَةَ أيَّامٍ ولياليهنَّ إلاَّ مِن جنابةٍ ، لكن من غَائِطٍ وبولٍ ونومٍ .

فقلت : هل سمِعتَه يذكُر فى ٱلهوى شيئًا ؟

---

(٥٦٢) أى : ما الذى حملك على المجىء ؟
(٥٦٣) أثَّر .

قال : نعم كُنَّا مع رسـول ٱلله ﷺ فى سَفَرٍ فبينَا نحنُ عندهُ إذ نـاداه أعرابىٌّ بصوتٍ جَهْوَرِى(٥٦٤) : يا محمد ، فأجابه رســول الله ﷺ نحوًا من صوته هاؤُم(٥٦٥) ، فقلتُ له : ويحكَ ٱغضُضْ (٥٦٦) مِن صوتِكَ فإنك عنـد النَّبى ﷺ وقد نُهيتَ عن هـذا ! فقال : وٱلله لا أغضُض . قال ٱلأعرابىُّ : المرءُ يُـــحِبُّ ٱلقومَ وَلَمَّا يَلْحَقْ(٥٦٧) بهم ؟ قـــال النبى ﷺ : « **المرْءُ مَعَ مَن أحَبَّ يومَ ٱلقيـامة** » فما زال يُحدثنا حتى ذكر بَـاباً مِن ٱلمغرب ، مسيرة عرضِـه أو يسير ٱلراكب فى عرضِـه أربعينَ أو سبعين عَامًا . قال سفيـان أحـد الرواة : قِبَلَ ٱلشام خلقـه ٱلله تعالى يومَ خَلَقَ ٱلسمواتِ والأرضَ مفتُوحًـا للتوبة لا يُغلق حتى تطلع(٥٦٨) ٱلشمس منه .

رواه الترمذى وغيره وقال : حديث حسن صحيح .

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى فضل العلم وطالبه .. وأن طالب العلم تضع الملائكة أجنحتها له رِضَاءً بما يطلب .. وقد ورد بالإضافة إلى هذا الحديث :

عن أبى الـدرداء رضى الله عنـه قال : سمعـت رسول الله ﷺ يقـول : « **مَن سلك طريقًا يبتغى فيه علمًا سَهَّل الله له طريقًا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له مَن فِي السموات ومَن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العـالم على العابـد كفضل القمر على سـائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبيـاء ، وإن الأنبياء لم يُـورثوا دينـارًا ولا درهمًا ، إنمـا وَرَّثُـوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر** »(٥٦٩)

رواه أبو داود والترمذى وله اللفظ .

وقد قرأت أن العقل والعلم اختلفا .. فقال العقل : أنا أفضل لأن الله عُرف بى ، وقال العلم : أنا أفضل لأن الله اتصف بى فى الكتاب ، فوافقه العقل واعترف له بالفضل ، ونظم بعضهم ذلك فقال :

---

(٥٦٤) أى : مرتفع .
(٥٦٥) أى : خذوا .
(٥٦٦) أى : اخفض .
(٥٦٧) أى إلى الآن لم يلحق بهم فى الأعمال وطرق الكمال .
(٥٦٨) أى : من المغرب .
(٥٦٩) وقد سبق التـذكير بهذا الحديث فى شرح فتوى سابقة ، وقـد أُعيد ذكره هنا لتاكيـد معناه فى موقعه ..

علم العليم وعقل العاقل اختلفا ... من ذا الذى منهما قد أحرز الشرفا

فالعلم قال : أنا أحرزت غايته ... والعقل قال : أنا الرحمن بى عُرِفا

فأفصح العلم إفصاحًا وقال له ... باينا الله فى فرقانه اتصفا

فبان للعقل أن العلم سيده ... فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

هذا ، وإذا كان الحديث قد أشار إلى بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالمسح على الخفين بعد الغائط والبول .. وما يتعلق بهذا الموضوع بالنسبة للمسافر ... إلخ .. فإن هذا معناه أنه ينبغى على الأخ المسلم أن يكون متفقهًا فى الدين .. ففى الحديث : « **من يُرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين ..** »(٥٧٠)...

وإذا كان الرسول ﷺ قد قال فى ختام الحديث : « **المرء مع من أحب يوم القيامة** » فإننى أرجو أن تعمل إن شاء الله على أن تكون مع الحبيب المصطفى ﷺ يوم القيامة .. فقد ورد فى الحديث : « **من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة** » .

والله ولى التوفيق ،،

❁ ❁ ❁

---

(٥٧٠) من حديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

obeikandl.com

(٩٣) يا رسول الله ... من أسعد الناس بشفاعتك يومَ القيامة ؟ ....

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يـا رسول الله ، مَن أسعدُ الناسِ بشفاعَتِك يومَ القيامة[٥٧١] ؟ قال رسول الله ﷺ : « **لقد ظننتُ يا أبـا هريرةَ أن لا يسألَني عن هـذا الحديـث أحَـدٌ أوَّلَ منك لِمَا رأيتُ مِن حِـرْصِكَ على الحديثِ : أسعـدُ النـاسِ بشفَاعتي يومَ القيامةِ مَن قال : لَا إلهَ إلاّ الله خَالِصًا من قَلْبِهِ أو نَفْسِهِ**[٥٧٢] » رواه البخارى.

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح الذى أجـاب فيه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه على استفسار سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه ـ الذى وُفِّق فيه ـ يشير إلى عِظَمِ قول : (لا إله إلا الله) التى هى[٥٧٣] : كلمة التوحيد التى بعث الله من أجلها الرسل وأنزل الكتب ، وجعلهـا فارقـة بين الإيمان والكفر ، وبين أهل السعـادة وأهل الشقاوة ، فهى الأسـاس الذى لا يقبل الله من أحـد عمـلاً إلا إذا بُنِي عليها ، وهى القطب الـذى لا تدور رَحَى الشريعـة إلا به ، وهى زبدة رسـالات الرسل ، وخلاصـة دعوتهم ، ومُفْتَتَح كلامهم .. فما أُرسِلَ أحـد منهم إلى قومه إلا كـان التوحيـد أول ما يدعـوهم إليه ، وهى كلمة التقوى التى ألزمها الله حِزبَه وأولياءَه وحَرَمَ منها أعداءَه . وقد جَمعت هذه الكلمة العظيمة التى هى عُنوان الإسلام بين النفى والإثبات ، فنفت بصدرها الإلهية لله وحده ، ولهذا قـالوا فى تفسيرهـا : لا معبـود بحق فى الـوجود كلـه إلا الله . فهى فى معنى قـول مؤسس الحنيفيَّة إبراهيـم خليل الرحمن لقومه : ﴿ **إننى بَرَاء ممـا تعبدون إلا الذى فَطَرَنِى فإنه سيهدين** ﴾[٥٧٤].

---

(٥٧١) يعنى من أحـق الناس وأولاهم وأكثـرهم سعادة بشفـاعتك التى ستكون لأهل الكبـائر من أمتك ؟

(٥٧٢) يعنى : من قالها بلسانه مع اعتقاد القلب لمضمونها ومع العمل بمقتضاها فتكون عبادته كلها لله .

(٥٧٣) كما قال فضيلة الشيخ خليل هراس رحمه الله تعـالى فى هامش (الترغيب والترهيب) مجلد ٢ ص ٦٨٩ .

(٥٧٤) الزخرف : من الآية ٢٦ ، ٢٧ .

وعلى هذا ، فإنـه ينبغى على المؤمن الصادق عندمَا يقـول : (لا إله إلا الله) أن يفهم معناها ، وأن يؤكد هذا المعنى .. بأن لا يعبد إلا الله ، ولا يتوكل إلا على الله ، ولا يعتمد إلا على الله ، ولا يسأل غير الله ، ولا يخاف إلا من الله ، ولا ينحنى إلا لله .. لأنه يوم أن يكون هكذا إن شـاء الله ، فإنه سيكون من أهل التـوحيد الخالص .. الذى لا فـلاح ولا نجاة فى الدنيا والآخرة إلا به .

ولهذا ، فقد ورد فى السنة الشريفة الترغيب فى قولها ، والإشارة إلى فضلها :

فعن عبادة بن الصامت رضـى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من شهد(٥٧٥) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك(٥٧٦) له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله(٥٧٧) ، وكلمته ألقاها إلى مريم(٥٧٨) ، وروح منه ، والجنـة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على مـا كان من عمل(٥٧٩)** » زاد عُبَادَةُ : « **من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء** »(٥٨٠) رواه البخارى واللفظ له ، ومسلم .

وفى رواية لمسلم والترمذى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من شَهِدَ أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار**»(٥٨١) .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ ، ومعـاذٌ رَديفَه على الرَّحْل(٥٨٢) ، قال : « **يا معاذُ بن جَبَلٍ ؟** » **قال : لبَّيْكَ يا رسولَ الله وسَعْديْكَ** (٥٨٣) ثلاثًا .

قال : « **مَا مِـن أحَدٍ يشهـد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسـولُ الله صِدقًـا من قَلْبِهِ(٥٨٤) إلا حَرَّمَهُ الله على النار** » .

---

(٥٧٥) أى : أقر واعترف بلسانه مع العلم بما يشهد به واعتقاده لمضمونه .

(٥٧٦) تأكيد لمضمون كلمة التوحيد لنفى كل شائبة شرك .

(٥٧٧) أى . ليس إلهاً ولا ابن إله كما تزعم النصارى .

(٥٧٨) أى بكلمة .. كن التى ألقاها الله إلى مريم حين نفخ جبريل فى درعها ...

(٥٧٩) يعنى : على حسب عمله فتكون درجته فى الجنة على قدر ذلك ، والمراد : أدخله الله الجنة أيًا كان عمله .

(٥٨٠) يعنى : أنها تفتح له كلها فيدخل من أيها أراد .

(٥٨١) أى : جعلها حرامًا عليه فلا يدخلها .

(٥٨٢) أى : رحل البعير وهو أصغر من القتب .. والمعنى أنه كان يركب خلفه على البعير .

(٥٨٣) أى : إجابة بعد إجابة وإسعادًا بعد إسعاد ، والمعنى : أنا سامع مُلَبٍّ مطيع .

(٥٨٤) أى . صادقًا فى شهادته مُخلصًا فيها .

قال: يا رسول الله، أفلا أُخْبِرُ بِهِ الناسَ فيَسْتَبْشِرُوا ؟ .

قال: « **إذًا يَتَّكِلُوا** »(٥٨٥)، وأخبر بها مُعاذٌ عند موته تَأثُّمًا (٥٨٦).

رواه البخارى ومسلم .

وَكُلُّ هـذا يقتضى ـ لكى يـدخلِ الجنـة وينجو من النـار ـ أن يأتى بالفـرائض، ويجتنب الكبائر .. فإن لم يأت بـالفرائض، ولم يجتنب الكبائر لم يمنعـه التلفظ بكلمة التوحيد من دخول النار .. (والعياذ بالله) .

وهذا، هو المعنى المشار إليه فى الحديث الذى :

رُوِىَ عن زيد بن أرقمَ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قال : لا إله إلا الله مُخلصًا(٥٨٧) دخل الجنة** » قيل : وما إخلاصها(٥٨٨) ؟ قال : « **أن تَحجِزَهُ عن محارم الله** »(٥٨٩) رواه الطبرانى فى الأوسط، وفى الكبير إلا أنه قال : « **أن تحجزه عما حَرَّم الله عليه** » .

وعن أبى سعيد الخُدرِيِّ رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قـال : « قال موسى عليه السلام : يـارب عَلِّمنِي شيئًا أذكُرُك به، وأدعـوك به ؟ قال : « قل : لا إلـه إلا الله » قال : يارب كُلُّ عـبادِك يقول هذا ؟ قـال : « قل : لا إله إلا الله » قـال : إنما أريد شيئًا تخصُّنِي به ؟ قال : « **يا موسى لو أن السموات السبع (٥٩٠) والأرضينَ السبعَ فى كَفَّةٍ (٥٩١)، ولا إله إلا الله فى كَفَّـةٍ : مالت بهم (٥٩٢) لا إله إلا الله** » . رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم، كلهم مـن طريق دراج عن أبى الهيثم عنـه، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا، حتى يكثر من قول لا إله إلا الله .. مع اجتنابه

---

(٥٨٥) أى : يغترون بذلك ويتركون العمل .

(٥٨٦) أى : خروجًا من إثم كتمان العلم .

(٥٨٧) أى : فى قولها بأن يكون معتقدًا لمعناها وإلا كان منافقًا ..

(٥٨٨) يعنى : وما علامة الإخلاص فيها ؟

(٥٨٩) يعنى : أن تمنعه وتكفه عن ارتكاب المعاصى وغشيان الفجور .

(٥٩٠) وفى بعض الروايات بزيادة (وعامرهن غيرى) .

(٥٩١) يعنى : فى كفة ميزان .

(٥٩٢) يعنى : رجحت وثقلت .

لكل محارم الله .. وحتى يكون بهذا كذلك مجددًا لإيمانه(٥٩٣) .. وهو يسأل الله تبارك معنا أن يُحيينا ويُميتَنا ويَبْعثَنا على قول : (لا إله إلا الله) اللهم آمين ،،

(٩٤) مَن هُم أولياءُ ٱلله .. يارسول الله ؟

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ مِنْ عِباد ٱلله نَاسًا مَا هُم بأنبياء ولا شهداء يغبطُهُم(٥٩٤) الأنبياءُ والشهداء بمكانهم من الله** » . قالوا : يا رسول الله فتُخْبِرُنَا مَن هُمْ ؟ قال : « **هُمْ قومٌ تحابُّوا برُوح ٱلله(٥٩٥) على غَيْرِ أرحام بيْنهُمْ ولا أموالٍ يتعاطوْنهَا ، فوالله إنَّ وجوههُم لنور ، وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون إذا خاف النَّاسُ** » . وقرأ هذه الآية : ﴿ **ألا إنَّ أولياءَ ٱلله لا خَوفٌ علَيْهِم ولا هُم يحزنُون** ﴾(٥٩٦) . رواه أبو داود .

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى صلوات الله وسلامه عليه إلى ناس من عباد الله تعالى ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله .. وعندما يُسأل النبى ﷺ : من هم ؟ يقول صلوات الله وسلامه عليه : « **هم قوم تحابوا بروح الله تعالى على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها** » . ثم يُقسم فيقول : « **فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس** » . ثم بعد ذلك يتلو آية كريمة يكشف الستار بها عن نوعية هؤلاء الناس الذين فازوا بهذه الدرجة العظيمة بسبب هذا الحب الخالص لله وفى الله ، فيقول : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ .

---

(٥٩٣) كما جاء فى نص حديث رواه أحمد والطبرانى ، وإسناد أحمد حسن .

(٥٩٤) الغبطة : تمنى مثل ما للغير من غير تمنى زواله .

(٥٩٥) بروح الله : أى القرآن ، أى : تحابوا بواسطته ، فهو طريق التحابب . ففي هذا الحديث أن ولي الله هو الناصر لدينه العامل بكتاب ربه وسنة رسوله ﷺ .

(٥٩٦) سورة يونس : الآية ٦٢ .

هذا ، وإذا كان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قد أكد حديثه بهذه الآية الكريمة التى تحدد نوعية هؤلاء الناس ، وأنهم أولياء الله : ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ ، كما يقول الله تعالى بعد ذلك في الآية التي تليها ، ثم يقول فى الآية الثالثة ﴿ **لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ أى : لهم البشارة من الله فى الدنيا ، بالرؤيا الصالحة ، وتبشير الملائكة لهم عند قبض أرواحهم برحمة الله ورضوانه ، وفى الآخرة أى : فى الجنة ، وقيل : المراد بالآخرة هنا القبر لأنه أول منازل الآخرة ، وفيه يُبشر المؤمن برضوان الله عند سؤال الملكين ﴿ **لا تبديل لكلمات الله** ﴾ أى : لا خُلف لوعد الله ولا تغيير ﴿ **ذلك هو الفوز العظيم** ﴾[٥٩٧] أى : ذلك هو الظفر العظيم .

فلتكن أخا الإسلام من أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون .. حتى تفوز بهذا الفوز العظيم .

واحذر أن تكون من أدعياء الولاية الذين لا ولاية لهم عند الله تعالى بسبب بُعْدهم عن أخلاق المؤمنين والمتقين ، والعياذ بالله تعالى منهم ومن أمثالهم من أصحاب المرقعات[٥٩٨] الذين أساءوا إلى الدين وأولياء الله الصالحين .

(٩٥) متى الساعةُ .. يارسول الله ؟

عن أنس رضى الله عنه : أن رجُلاً سأل رسول الله ﷺ : متى الساعة ؟ قال : « **وما أعددْتَ لها ؟ قال : لا شىء إلا أنِّى أُحِبُّ ٱللهَ ورسُولهُ . قال : أنت مع منْ أحْبَبْتَ** » .

قال أنس : فما فرِحنَا بشىءٍ فَرَحَنَا بقول ٱلنبىِّ ﷺ : « **أنتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْت** » .

قال أنس : فأنَا أُحِبُّ ٱلنبىَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمرَ ، وأرجُو أن أكُونَ معهُم بِحُبِّى إيَّاهُم .

رواه ٱلبخارى ومسلم .

---

(٥٩٧) سورة يونس : الآية ٦٢ ـ ٦٤ .

(٥٩٨) أى : من المتصوفة الذين يلبسون المرقعات بدعوى أنهم من الزهاد ، أو من الاتقياء ، والصوفية الصحيحة منهم براء .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يجيب النبى ﷺ عن هذا السؤال الذى وُجِّه إليه من جانب أعرابى ، وهو : (متى الساعة ؟) بأسلوبه الحكيم الذى يشير إلى ضرورة أن يكون هناك انشغال من جانب العبد الصالح بما يضمن له السلامة فى يوم القيامة ، وهذا هو الأهم من الانشغال بموعدها .. ولهذا قال لهذا الأعرابى الذى سأله : (ما أعددتَ لها ؟) أى حتى تكون متعجلاً وقتها ، أو حتى تسأل عنها ، إذ هى زمن الجزاء ويوم الدين .

قال العاقولى : وقوله : (ما أعددت لها ؟) أى : ما لك ولها ، إنما يهمك التزود لها والعمل بما ينفعك فيها ، فطرح الرجل ذكر أعماله لأنه كان لا يرى لها قدرًا ، ونظر إلى ما فى قلبه من مخصوص محبة الله سبحانه ورسوله فقدمه بين يديه فقال : (حب الله ورسوله) والمراد من حب الإنسان لله ورسوله طاعتهما والانقياد لأحكامهما ،فقال له النبى صلوات الله وسلامه عليه : (أنت مع من أحببت) ، واللفظ عام لكون كل محب مع محبوبه من خير أو شر ، ومعية الله مع الإنسان بالنصر والإعانة والتوفيق .

وفى رواية للبخارى ومسلم عن أنس أيضًا قال الأعرابى لرسول الله ﷺ : « **ما أعددتُ لها من كثير صوم ولا صلاة ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله** » . فقال له صلوات الله وسلامه عليه : « **فأنت مع من أحببت** » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « **جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف تقول فى رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب** » . متفق عليه .

فلتكن أخا الإسلام منتفعًا بهذا الخير الذى أشار إليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه حتى تعمل على أن تكون من الناجين يوم القيامة بما ستقدم من أعمال صالحة خالصة لوجه الله ، وبحبك لله ورسوله عسى أن تفوز بشرف معية الله تعالى لك ، وعسى أن تفوز كذلك بشرف صحبتك لرسول الله ﷺ الذى ورد عنه أنه قال : « **من أحيا سنتى فقد أحبنى ،ومن أحبنى كان معى فى الجنة** »(٥٩٩).

والله ولى التوفيق .

---

(٥٩٩) وقد سبق التذكير بهذا الحديث فى شرح فتوى سابقة .. وأُعيد ذكره هنا لتأكيد معناه فى موقعه ..

(٩٦) أأَعْلَمْتَهُ .. أنكَ تُحِبُّه ؟

عن أنس رضى الله عنه أن رجُلاً كان عند النبى ﷺ فمَرَّ رجُلٌ به فقال : يارسول الله إنّى لأحِبُّ هـذا . فقال النبى ﷺ : « **أأعْلمْتَهُ ؟ قـال : لا ، قال : أعْلِمْـهُ**(٦٠٠) **فلحِقـهُ فقـال : إنّى أُحِبُّك فى الله . فقال : أحبَّك الله الذِى أحببتنى له** » . رواه أبو داود بإسناد صحيح .

وعن أبى كُرَيْمة المقدادِ بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إذا أحبَّ الرجُلُ أخاهُ**(٦٠١) **فليُخْبِرْهُ أنَّهُ يُحبُّـه** » رواه أبـو داود والترمـذى وقـال : حـديث صحيح .

وعن أبى هـريرة رضى الله عنـه عن النبى ﷺ : « **أن رجُلاً زار أخًـا له فى قـريةٍ أخرى فارصد** (٦٠٢) **الله على مدرجته** (٦٠٣) **ملَكًا فلما أتى عليـه قال : أين تُـريد ؟ قـال : أُرِيـد أخًا لى فى هـــذه القرية . قـــال : هل لك عليـه مـــن نعمةٍ** (٦٠٤) **تَرُبُّهَا** (٦٠٥) **عليه ؟ قـال : لا ، غير أنّى أحْبَبْتُهُ فى الله تعالى . قـال : فإنى رسول الله إليك بأنَّ الله قد أحبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فيه** » . رواه مسلم .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي**(٦٠٦) **؟ اليوم أظلُّهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى** »(٦٠٧) . رواه مسلم .

فلنكن من المتحابين فى الله .. حتى نكون أهلاً لظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله .

فى هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة يريد النبى ﷺ من خلال إجاباته أو توجيهاته أن يلفت قلوبنا نحن المؤمنين بصفـة خاصة إلى أهمية الحب لله وفى الله ، وذلك لأن الحب

---

(٦٠٠) لتهاجر أو تقاطع كان بينهما .
(٦٠١) فى الله عز وجل .
(٦٠٢) أرصده له : إذا وكله بحفظه .
(٦٠٣) المدرجة : أى الطريق .
(٦٠٤) أى : عطية وإحسان .
(٦٠٥) أى : تسعى فى صلاحها بتربيتها وحفظها .
(٦٠٦) أى : لهيبته وسطوته .
(٦٠٧) أى : فى ظل عرشه يوم القيامة .. فيكون بهذا فى كنف الله وستره .. ونعيمه السرمدى .

لله وفى الله يُعتبر من أهَمِّ الأساسيات الإيمانية .. بل لن يتذوق المسلم أو المؤمن حلاوة الإيمان إلا به .

فعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ثلاثٌ من كُن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهُما ، وأن يُحِبَّ المرء لا يُحِبُّه إلا لله ، وأن يكْرهَ أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكرهُ أن يُقذف فى النار** » . متفق عليه .

وتلك إشارة أولى أردتُ أن أبدأ بها فى تمهيدى لشرح هذه الأحاديث الشريفة التى تدور حول هذا الموضوع الحيوى ، حتى ندرك ـ كما أشرتُ ـ أهميته ، وحتى نعمل إن شاء الله على أن نكون من أهل هذا الحب الصادق .. الذى أرجو أن نكون من المساهمين بقسط كبير منه فى بنك المحبة(٦٠٨) : (وهو بنك خزائنه فى القلوب ، وسبائكه من نور ، شيكاته ابتسامات ، وعملته السهلة الصفاء ، وسنداته الإخلاص ، وضماناته المعروف وهو يتسع لكافة المعاملات ، لا تَصدُمُك أرقامه ، ولا يُفزِعُك تقلبُ أسعاره ، يدوم دوام المحبة ، والمحبة زهرة إن ذبُلت يومًا عاش عِطرها أبدًا ، لا يُفرقُ بين الناس وفقًا لوضعهم المادِّى ، بل إن أولاهم بثقته من عظُمت تضحيتُه ، وأوفرهم رصيدًا من شَفَّ قلبُه حنانًا ، ورقّت رُوحه سلامًا ، يجمعُ القلوب ولا يجمع الأرقام ، يُحصى الخير ويطرح السيئات ، ولا يبالى إلا بالكلمة الطيبة ، لو تعامل الناسُ مع هذا البنك لتناسوا أحقادهم ، وارتفع رصيدُ إنسانية كُلّ منهم إلى ما فوق الغنى ، وغنى النفوس لا يُقدر بمال ، بل هو كنز موعود لأصحاب القلوب البيضاء) .

وكأنى برسول الله ﷺ وقد وقف خطيبًا يُرغِّبُ أصحابه ـ أصحاب القلوب البيضاء ـ فى المساهمة فى هذا البنك المعنوى فقال ، ما ورد فى حديث رواه أبو داود .

عن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن من عباد الله لأُناسًا ما هم بانبياء ولا شُهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى ، قالوا : يا رسول الله تُخبِرُنا من هُمْ ؟ قال : هُم قومٌ تحابوا برُوح اللهِ(٦٠٩) على غير أرحامٍ**

---

(٦٠٨) كما قال أحد الحكماء الصالحين .

(٦٠٩) أى : بمحبة الله ورحمته ، أو الروح القرآن لقوله تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا** ﴾ أى تحابوا فى الله بسبب العمل بالقرآن .

بينهُم ولا أموالٍ يتعاطونها[٦١٠]، فوالله إن وجوههُم لنورٌ، وإنهم لعلى نورٍ[٦١١] لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزِن الناس »: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

كما كان صلوات الله وسلامه عليه يُرغِّبُهم فى هذا فى كثير من أحاديثه الشريفة التى منها ما ورد:

عن أبى أُمامة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **من أحَبَّ لله وأبغضَ لله وأعطى لله ومنعَ لله فقد استكمل الإيمان** » رواه أبو داود والترمذى، وزاد الترمذى « وأنكح لله ». أى: زَوَّج أىَّ شخصٍ؟، فمن كان حبه أى للمؤمنين لله لا لعلة. وبغضه للفاسقين لله أى لكراهة الله لهم، وأعطى المستحق لله، ومنع غيره لله، أى: فمن كان فعله وتركه وحركاته وسكناته لله فقد كمُل إيمانه.

وعن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **أفضل الأعمال الحبُّ فى الله والبغضُ فى الله** ». رواه أبو داود.

فكان الأصحاب عليهم جميعًا رضوان الله هُم أوائل المنتفعين بهذا الترغيب المحمدى الذى جعلهم جميعًا على قلب رَجُلٍ واحد ببركة حب الله تعالى لهم.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله إذا أحبَّ عبدًا دعَا جبريلَ فقال: إنى أُحِبُّ فُلانًا فأحِبَّه، قال: فيُحبُّه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول: إن الله يُحبُّ فلانًا فأحِبوه، فيُحبُّه أهل السماء، ثم يُوضعُ له القبولُ فى أهل الأرض، و إذا أبغضَ الله عبدًا دَعا جبريل فيقول: إنِّى أُبغضُ فلانًا فابغِضْهُ، قال: فيُبغضُه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يُبغضُ فلانًا فابغِضوه، قال: فيُبغضُونه، ثم تُوضع له البغضاء فى الأرض** ». رواه الشيخان والترمذى.

ومحبة الله لعبده أى: رضاه عنه، وهدايته له وعنايته به، وإنعامه عليه بمحبة الناس له فى الدنيا ورفيع الدرجات فى الآخرة.

وبغض الله لعبده، أى: سخطه عليه، وكراهة الخلق له فى الدنيا، وشدة عقابه فى الآخرة.

---

(٦١٠) أى: بغير معاملة دنيوية ولا قرابة بينهم بل تحابوا لله وفى الله تعالى.

(٦١١) أى: إن وجوههم لنور أى: ذات نور، « وإنهم لعلى نور » أى: على منابر من نور.

ومحبة الملائكة للعبد ، أى : استغفارهم له ، وثناؤهم عليه وبغضهم له : عدم استغفارهم له ، وعدم ثنائهم عليه .

ومحبة الناس للعبد ، أى : عطفهم وثناؤهم عليه ، وبغضهم للعبد : كراهتهم له وذمُّه ، وفيه : أن محبة الناس للعبد أو بغضهم له من محبة الله أو بغضه ، كما قيل : ألسنة الخلق أقلام الحق .

وقد قرأت فى : (رياض الصالحين) ، تحت عنوان :

باب علامات حب الله تعالى العبد ، والحث على التخلق بها والسعى فى تحصيلها :

ما ينبغى علينا كذلك أن ننتفع بها ـ أى : بتلك العلامات فننفذها ـ حتى نكون إن شاء الله تعالى من الصادقين فى حبنا لله ورسوله ، فإليك أخا الإسلام بعض ما جاء فى هذا الباب .

قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كُنْتُم تُحبُّون الله فاتبعُونى يُحببْكُم الله ويغْفر لكُم ذنوبكُم والله غفُورٌ رحيم** ﴾(٦١٢) ، وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يُحِبهم ويُحبونه أذِلَّةٍ على المؤمنين أعِزَّةٍ على الكافرين يُجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليم** ﴾(٦١٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى قال : من عادى لِى وليًّا فقد آذنتُه بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىءٍ أحب إلىّ مما افترضتُ عليه ، وما يزال عبدى يتقربُ إلىّ بالنوافل حتى أُحِبهُ ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يُبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورِجْله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأُعطينَّه ، ولئن استعاذنى لأُعيذنه** » رواه البخارى .

ومعنى : (آذنته) أى : أعلمته بأنى محارب له ، وقوله : (استعاذنى) روى بالباء وروى بالنون .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجُلاً على سَرِيَّةٍ (٦١٤) فكان

---

(٦١٢) سورة آل عمران . الآية ٣١ .

(٦١٣) سورة المائدة . الآية ٥٤ .

(٦١٤) قطعة من الجيش .

يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ ﴿ قُلْ هو الله أحدٌ ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « **سلوه**(٦١٥) **لأى شىء يصنع ذلك ؟** » فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن فأنا أُحِبُّ أن أقرأ بها ، فقال رسول الله ﷺ : « **أخبروه أن الله تعالى يُحبه** » . متفق عليه .

فلتكن أخا الإسلام منتفعًا بهذا التذكير(*) أو التبشير الذى جاء فى تلك الأحاديث الشريفة على لسان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ..

والذى أرجو أن نكون جميعًا بسببه من أهل القبول فى السماء وفى الأرض ..

والله ولى التوفيق ،،

(٩٧) أيُّكم يُحِبُّ أن يكون هذا له بدرهَمٍ ؟

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مَرَّ بالسوق والناسُ كنفتَيْهِ (٦١٦) فمَرَّ بجَدْيٍ أَسكّ ميت(٦١٧) فتناولهُ فأخذ بأذنِه ثم قال : « **أيُّكُمْ يُحِبُّ أن يكُون هذا لهُ بدرهَمٍ؟ فقالوا : ما نُحِبُّ أنه لنا بشىءٍ وما نصنعُ(٦١٨) به ؟ ثم قال : أتُحِبُّون أنه لكُم ؟ قالوا : والله لو كان حَيًّا كان(٦١٩) عيبًا إنه أسكُّ فكيف وهو ميتٌ ! فقال : فوالله للدنيا أهونُ على الله من هذا عليكُم** » . رواه مسلم .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يلفت النبى صلوات الله وسلامه عليه قلوب

---

(٦١٥) وذلك ليرتب جزاءه على حسن نيته .

(*) هذا وإذا كان قد سبق ذكر الحديث الذى رواه أبو داود عن عمر رضى الله عنه ، والحديث الذى رواه الشيخان والترمذى عن أبى هريرة ـ فى شرح فتوى سابقة ـ فقد أعيد ذكرهما هنا لتأكيد المعنى الوارد فيهما فى موقعه ..

(٦١٦) أى : جانبيه .

(٦١٧) أى : صغير الأذن .

(٦١٨) وهو نجس لموته .

(٦١٩) أى : لو كان حيًّا لَتُرِكَ مع رجاء الانتفاع به لكونه معيبًا .

أصحابه إلى حقيقة الدنيا حتى يُخرجوا حُبَّها من قلوبهم .. وحتى لا تكون سببًا فى هلاكهم وحرمانهم من نعيم الآخرة الدائم .

فعن عمرو بن عوف الأنصارى رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه إلى البحرين ياتى بجزْيتها ، فقدم بمالٍ من البحرين ، فسمعتِ الأنصار بقدوم أبى عُبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، ثم قال : « **أظنكُم سمعتُم أن أبا عبيدة قدم بشىءٍ من البحرين ؟ فقالوا : أجل يا رسول الله ، فقال : أبشروا وأمِّلُوا ما يسرُّكم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكُم ، ولكنى أخشى أن تُبسط الدنيا عليكُم كما بُسطتْ على من كان قبلكمْ فتنَافسُوها(٦٢٠) كما تنافسوها فتُهْلكَكُم كما أهْلكَتْهُم** » . متفق عليه .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الدنيا حُلوة خَضرةٌ ، وإن الله تعالى مستخلفُكم فيها فينظُر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا(٦٢١) واتقوا النساء** »(٦٢٢) . رواه مسلم .

وكان هذا هو السبب المباشر فى حرص الرسول ﷺ على تزهيد أصحابه ـ وكل فرد من أفراد أمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ فى هذه الدنيا الفانية التى لا تزِن عند الله جناح بعوضة .. كما يشير إلى هذا الحديث الشريف الذى ورد .

عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربة ماء** » . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وإلى هذا المعنى يشير أحد الصالحين فى قوله : إذا أردت أن تعرف قيمة الدنيا فانظر هى فى يدِ مَنْ ؟!

ولهذا .. حسبنا إذا أردنا أن نُخرج حب الدنيا من قلوبنا أن ندرس هذا الحديث الشريف الذى ندور حوله ، والذى يصور الرسول ﷺ الدنيا فيه بهذا الجدى الأسَكّ:

---

(٦٢٠) التنافس : المسابقة إلى الشىء .. والأصل فتتنافسوها .

(٦٢١) أى : من مَيْلكم إلى زهرتها وحلاوتها وخضرتها ..

(٦٢٢) أى : احذروهن أن يحملكم الافتتان بهن على ترك ما طلب منكم من التكاليف .

الميت الذى تأبى النفس الطاهرة مجرد النظر إليه .. فضلاً عن امتلاكه ولو بمبلغ زهيد لا يُذكر ..

فقد جاء فى نص الحديث ـ كما قرأنا ـ عن جابر رضى الله عنه : « أن رسول الله مَرَّ بالسوق التى يباع فيها[٦٢٣] (والناس كنفيه) وفى بعض النسخ كنفتيه ، ومعنى الأول : جانبه ، والثانى : جانبيه (فمر بجدْيٍ) وهو ولد المعز كذا فى المفاتيح .. (أسكّ) أى : صغير الأذن (ميت فتناوله) وفيه دليل على أن لَمْس النجس إذا لم تكن رطوبة من أحد الجانبين لا ينجس (فأخذ بأذنه) لمزيد الحقارة (ثم قال : أيكم يُحب أن هذا له بدرهم ؟) .

قال العاقولى : هو استفهام إرشاد وتنبيه ليلقوا السمع لما يوجهه إليهم من الخطاب الخطير فى ضمن التمثيل بهذا المعنى الحقير (فقالوا : ما نحب أنه لنا بشىء) أى : من الأشياء التى هى أقل من الدرهم فضلاً عنه (وما نصنع به) وهو نجس لموته قد انقطعت الأطماع بذلك عن الانتفاع به (قال) تأكيدًا للمقام (تحبون) أى : أتحبون (أنه لكم) أى : من غير شىء (قالوا : والله لو كان حيًا كان عيبًا) أى : معيبًا أو ذا عيب (أنه أسك) تفسير لعيب (فكيف وهو ميت) لا يُنتفعُ به (فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم) أى : أن الدنيا عند الله أذل وأحقر من هذا عندكم ..

فمن هذا الحديث الذى وقفنا على إيجاز شرحه كما جاء فى (دليل الفالحين) يتبين لنا أن الخير كله فى أن يكون الإنسان فى هذه الدنيا ضيفًا بهذا المعنى الذى أشار إليه الحكيم فى قوله :

العُمر مِثْلُ الضَّيْفِ أو ... كَالطَّيف ليس لَهُ إقَامه
وأخُو الحِجا فى سائرِ ... الأحوالُ مُرْتقبٌ حِمامه
والجَاهِلُ المغتر ... مَنْ لم يجعل التقوى اغتنامه

و (الحِجا) أى : العقل ، (والحمام) بكسر الحاء ، أى : الموت ..

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « **أخذ رسول الله ﷺ بمنكِبَىَّ فقال : كُن فى الدنيا كانك غريبٌ أو عابر سبيل** » . زاد الترمذى : « **وعُدَّ نفسك من أهل القبور** » .

---

(٦٢٣) مؤنثة وهو أفصح .. قال فى المصباح يذكر ويؤنث .

ورواه أحمد والنسائى أوله : « **اعبد الله كأنك تراه وكن فى الدنيا .. » الخ** . وكان ابن عمر (رضى الله عنهما) يقول : **إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك** . رواه البخارى .

قالوا فى شرح هذا الحديث : معناه : لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنًا ، ولا تُحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه ، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله ... فإن شأنه ألا يستكثر من المتاع لأن ذلك يتعبه فى مقصده ويثقله عن مطلبه ، بخلاف من أضرب عن العود ، فذلك لا يحتفل بأمر السفر ، فالحازم لايتخذ من الدنيا ما يثقله فى السفر إلى مولاه ، والغافل عن ذلك معرض عن آخرته مقبل على زهرة دنياه ، وهذا راجع لمجموع الحديث وذلك إذا كان المسافر المذكور ، وإن كان يقيم بتلك البلاد شأنه الإعراض عما يثقله فى سفره ، فالعابر بها من غير إقامة أولى بذلك(٦٢٤).

وتلك هى الخلاصة التى لابد وأن نتفق عليها جميعًا .. وهى أننا جميعًا فى سفر إلى الله تبارك وتعالى إن عاجلاً وإن آجلاً .. وأننا يوم أن ننتقل من هذه الحياة الأولى لن نأخذ معنا إلى الدار الآخرة إلا ما قدمناه من أعمال صالحة أو طالحة : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾(٦٢٥) ، ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يُرى * ثم يُجزاه الجزاء الأوفى** ﴾(٦٢٦).

وعلى هذا فإنه ينبغى على الإنسان المسلم العاقل أن يعتبر نفسه فى دار مؤقتة ، وأنه ينبغى عليه أن لا يغتر بها حتى لا تنسيه الآخرة التى هى دار النعيم الحقيقى .. قال تعالى : ﴿ **وإن الدارَ الآخرة لَهِىَ الحيوانُ** ﴾ أى : لهى الحياة الحقيقية ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾(٦٢٧).

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثَّر فى جنبه ، فقلنا : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً؟ فقال : « **ما لى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها** » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أبناء الآخرة لا من أبناء الدنيا ... آمين ،،

---

(٦٢٤) كما جاء فى شرح : (دليل الفالحين) بتصرف .
(٦٢٥) سورة الزلزلة : الآية ٧ ـ ٨ .
(٦٢٦) سورة النجم : الآية ٣٩ ـ ٤١ .
(٦٢٧) سورة العنكبوت : الآية ٦٤ .

(٩٨) أفلا أُعَلِّمُكُم شيئًا تدركون به من سبقكُم ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوْا رسول الله ﷺ فقالوا : ذهب أهلُ الدُّثُور بالدرجات العُلى(٦٢٨) والنعيم المقيم(٦٢٩) ، فقال : « **وما ذاك ؟** » فقالوا : يُصلون كما نُصلّى (٦٣٠)، ويصومُون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقُون ولا نعتقُ ، فقال رسول الله ﷺ : « **أفلا أُعلِّمُكم شيئًا تدركون به من سبقكُم ، وتسبقون به منْ بعْدكُم ، ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا منْ صنع مثل ما صنعتُم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : تُسبحون وتُكَبِّرُون وتحمدُون دُبُر(٦٣١) كُلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين مرّةً** » فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : **سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء ﴾** ، متفق عليه ، وهذا لفظ مسلم ، و (الدثور) : الأموال الكثيرة .

ففى هذا الحديث الشريف يجيب النبى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن تساؤل وجَّهه إليه فقراء المهاجرين يوم أن ذهبوا إليه فقالوا له : (ذهب أهل الدثُور) وهم أصحاب الأموال الكثيرة (بالدرجات العلى والنعيم المقيم) أى : الذى لا ينقطع ولا ينقضى .. ثم بيَّنوا وجه ذلك بقولهم على سبيل الاستئناف البيانى (يُصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضلٌ من أموال ، يحجون ويعتمرون ، ويُجاهدون ويتصدقون) وفى رواية أخرى وهى التى ندور حولها (ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق) .

كان هذا هو مجمل السؤال أو التساؤل الذى أجاب عنه الرسول ﷺ بقوله لهم : (ألا أُعلمكم شيئًا تُدركون به من سبقكم) أى : إلى الأجر بعمل البر الذى عجزتم عنه (وتسبقون به من بعدكم) أى : تفوقون فى الأجر من لم يأت بهذا العمل (ولا يكون أحد أفضل منكم) لعظم ثوابكم المرتَّب على هذا الذكر (إلاّ من صنع مثل ما صنعتم)

---

(٦٢٨) أى : الرفيعة .

(٦٢٩) أى : نعيم الجنة .

(٦٣٠) أى : مساوون لنا .

(٦٣١) أى : خلف كل صلاة مكتوبة ، أى : مفروضة .

استثناء منقطع ، أى : لكن من صنع مثل صُنعكم أجره كأجركم ، فالمقيد خبره محذوف وأتى به إيماء إلى أن الصنع بسبب الأجر وعلة له بجعل الله تعالى والحكم دائر على علته ودفعًا لتوهم اختصاصهم بالأجر المذكور فيه ، بل هم وسائر العمال له سواء فى ثوابه « قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : **تسبحون وتحمدون ، وتكبرون خلف كل صلاة** » أى : مكتوبة .. وإن كانت لنكارتها ودخول كل عليها عامة (ثلاثًا وثلاثين) .

قال البرماوى : وحكمة تخصيص هذه الأذكار أن التسبيح تنزيه عن النقائص ، والتحميد إثبات للكمالات ، والتكبير إثبات أن حقيقة ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ أكبر من أن تدركها الأوهام أو تحيط بها الأفهام أ . هـ .

أى : كل واحدة ثلاثًا وثلاثين ، أو المجموع ذلك ، فيكون كل واحدة إحدى عشرة ، وعليه فثلاثًا وثلاثين معمول لمقدر ، أى : تقول مجموع ذلك ثلاثًا وثلاثين وفيه بُعد ، وأكثر الروايات أن التسبيح ثلاث وثلاثون ، وكذا كُل من التحميد والتكبير ، وختم المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. الخ وفى رواية : أن كلاً من الأولين كذلك ، والتكبير أربع وثلاثون .. وأما الإحدى عشرة من كل فهو رواية ، ويجمع بحمل هذه على أصل السنة وتنبيه على كمالها .

(قال أبو صالح الراوى عن أبى هريرة : لما سُئِل عن كيفية ذِكرهِنَّ قال : يقول : سبحان الله والحمد لله والله أكبر) قال فى فتح الإله : ما أفهمه كلامه من أن الإتيان بها مختلطات لا بكل نوع على حدته غير معمول به بالنسبة للأكمل ، إذ هو أن يأتى بكل عدد على حدته .

قال القاضى عياض : وهو أَوْلى من تأويل أبى صالح (حتى يكون) أى : حتى يكون المأتى به (منهن كلهن ثلاثًا وثلاثين) قال البرماوى : هو منصوب فى أكثر الروايات ، ويروى بالرفع على أنه اسم كان ، والأول أظهر وأنه خبرها ، وهو محتمل لما تقدم من أن المراد أن يكون من المجموع هذا العدد أو من كل من المركب من هذه الأنواع ، والثانى أقرب لكلامه .. والحديث ـ كما عرفنا ـ متفق عليه ، أخرجه البخارى فى الصلاة ، وكذا مسلم ، ورواه النسائى فى اليوم والليلة ، وللحديث طرق انفرد ببعضها مسلم عن البخارى فى صحيحه ، وذلك كرجاء بن حيوة عن أبى صالح فقد أخرجه مسلم فى صحيحه فى الصلاة والبخارى فى الأدب المفرد .

وزاد مسلم فى روايته للحديث من طريق ابن حيوة عن أبي صالح (فرجع فقراء

المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : سمع إخواننا) أى : المؤمنون (أهل الأموال بما فعلنا) فيه إطلاق الفعل على القول لأنه فعل اللسان (ففعلوا مثله) أى : فساوونا فى العبادة التى فوقتنا عليهم لو أتينا بها دونهم وزادوا علينا بالعبادة المالية (فقال رسول الله ﷺ : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) المشار إليه إمَّا الفضل الذى أرشدهم إليه ﷺ وأن به يسبقون : أى ذلك الفضل بيده ـ سبحانه ـ فله أن يخص به قائلاً دون قائل ، فلا عليكم أن شركوكم فى القول ، فإن الثواب المذكور مقصور على الفقراء ، وإما تفضيل الجامعين بين عبادة البدن والمال ، ويبتنى عليه الخلاف : هل الفقير الصابر أفضل أو الغنى الشاكر ؟ والجمهور على الثانى لتعدى نفعه وقصور نفع الأول .

وهناك روايات أخرى قرأتها فى الجزء الثالث ، من (الدين الخالص) أُحبُّ كذلك أن أثبتها هنا حتى ننتفع بها ، وقد ذكَّرتُ بها قبل ذلك ، وأردتُ التذكير بها ـ هنا ـ لتأكيد معناها والاستفادة بها :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **من سَبَّحَ دُبُر كلِّ صلاة**(٦٣٢) **ثلاثًا وثلاثين ، وحَمِد الله ثلاثًا وثلاثين ، وكَبّر الله ثلاثًا وثلاثين ، فتلك تِسْعٌ وتسعون ، ثم قال : تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير (غُفِرت) خطاياه ولو كانت مثلَ زبد البحر** »(٦٣٣) أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود .

وعن سُمَى عن أبى صالح السمان عن أبى هريرة قال : جاء الفقراء إلى النبى ﷺ فقالوا : ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، يُصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون . قال : « **ألا أُحَدثكُم بما إن أخذتم به أدركتُم من سبقكُم ولم يدرككُم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهْرانيه**(٦٣٤) **إلا مَن عَمِل مِثلَه ؟ تُسبّحُون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين » فاختلفنا بيننا**(٦٣٥) **فقال بعضنا : نسبح ثلاثًا وثلاثين ، ونحمد ثلاثًا وثلاثين ، ونكبر أربعًا وثلاثين ، فرجعت إليه فقال : تقول : سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، حتى يكون منهن كلهن**(٦٣٦) **ثلاثًا وثلاثين** » . أخرجه الشيخان والنسائى .

---

(٦٣٢) لفظ صلاة يشمل الفرض والنفل ، ولكن حمله العلماء على الفرض .

(٦٣٣) الزبد بفتحتين : الرغوة تعلو الماء عند تلاطم الأمواج .

(٦٣٤) المعنى : من أقمتم بينهم مستظهرين بهم ومستندين إليهم .

(٦٣٥) أى : اختلفوا فى المعنى المراد .

(٦٣٦) كلهن ، بكسر اللام توكيد للضمير المجرور ، وثلاثا وثلاثين ، بالنصب خبر كان واسمها محذوف ، والتقدير حتى يكون العدد منهن ثلاثا وثلاثين .

ولذا قال فى الإقناع : والأفضل أن يفرغ من عدد الكل معًا .

وعن ابن عمر قال : اشتكى فقراء المؤمنين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فضل به أغنياؤهم ، فقالوا : يا رسول الله إخواننا صدَّقوا تصديقنا ، وآمنوا إيماننا ، وصاموا صيامنا ، ولهم أموال يتصدقون منها ، ويصلون بها الأرحام ، وينفقونها فى سبيل الله ، ونحن مساكين لا نقدر على ذلك ؟ فقال : « **ألا أخبركم بشىء إذا أنتم فعلتموه أدركتم مثل فضلهم ؟ قولوا : الله أكبر فى دبر كل صلاة إحدى عشرة مرة ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، وسبحان الله مثل ذلك ، تدركون مثل فضلهم . ففعلوا . فذُكِر ذلك للأغنياء ففعلوا مثل ذلك فرجع الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا ذلك له فقالوا : هؤلاء إخواننا فعلوا مثل ما نقول فقال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، يا معشر الفقراء ألا أُبشِّركُم ؟ فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم . خمسمائة عام** » .

وتلا موسى بن عبيدة : ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألفِ سنةٍ مِمَّا تعُدُّون** ﴾(٦٣٧) أخرجه البزار ، وفيه موسى بن عُبيدة البرذوى ضعيف .

وعن محمد بن أبى عائشة عن أبى هريرة أنه حدثهم أنَّ أبا ذرّ قال : يا رسول الله ذهب أصحاب الدثور بالأجور يُصلون كما نُصلى ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضول أموالهم يتصدقون بها ، وليس لنا ما نتصدق به . فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أفلا أدلُّك على كلماتٍ إذا عملتَ بِهَن أدركت منَ سبقك ، ولا يلحقك إلا من أخذ بمثل عملك ؟ قلتُ : بلى يا رسول الله . قال : تُكبِّرُ دُبرَ كُلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين ، وتُسبِّحُ ثلاثًا وثلاثين ، وتحمد ثلاثًا وثلاثين ، وتختمها بلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير** » . أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود . وفى رواية : « **تُسبِّحُ الله خلف كل صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين ، وتحمدُ ثلاثًا وثلاثين ، وتكبر أربعًا وثلاثين** » .

فينبغى العمل بإحدى الروايتين تارة وبالأخرى تارة جمعًا بينهما .

وعن زيد بن ثابت قال : « **أمرنا أن نُسبِّح فى دُبر كُل صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين ، ونحمد ثلاثًا وثلاثين ، ونُكبِّر أربعًا وثلاثين ، فأُتى رجُلٌ فى المنام من الأنصار فقيل**

---

(٦٣٧) سورة الحج : الآية ٤٧ .

له : أمركم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن تُسبّحوا فى دُبر كُلِّ صلاةٍ كذا وكذا ؟ قال الأنصارى فى منامه : نعم ، قال : فاجعلوها خمسًا وعشرين ، خمسًا وعشرين . واجعلوا فيها التهليل ، فلما أصبح غدا على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فافعلوا »(٦٣٨).

أخرجه أحمد والنسائى وابن حبان وابن خزيمة والدارمى ، وهو حديث صحيح .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **خَلّتانِ**(٦٣٩) **من حافظ عليهما أدخلتاه الجنة ، وهُما يسير ومن يعمل بهما قليل . قالوا : وما هما يا رسول الله ؟ قال : أن تحمد الله وتُكبّرهُ ، وتُسبّحهُ فى دُبر كل صلاة مكتوبة عشرًا عشرًا ، و إذا أتيت إلى مضجعِك تُسبّحُ الله وتُكبرهُ وتحمدهُ مائة مرة ، فتلك خمسون ومائتان باللسان ، وألفان وخمسمائة فى الميزان ، فايكم يعمل فى اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة ؟ قالوا : كيف . من يعمل بها قليل ؟ قال : يجيء أحدكم الشيطان فى صلاته فيذكِّرُه حاجة كذا وكذا فلا يقولها ، ويأتيه عند منامه فيُنوّمُه فلا يقولها ، قال : ورأيتُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَعقُدهُنّ بيده** »(٦٤٠). أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة بسند صحيح .

ثم يقول بعد ذلك فى (الدين الخالص) : فعُلِم من هذه الروايات أن التسبيح عقب الصلوات وارد على أعداد مختلفة ، فأى عدد منها عمل به الإنسان فقد وافق الوارد ، وأكثرها وأقواها رواية التسبيح ثلاثًا وثلاثين ، والتحميد والتكبير كذلك ، فالعمل بها أولى . وأُخذ من هذه الروايات أن مراعاة العدد المخصوص فى الأذكار عقب الصلوات معتبرة ، فلا يتعداها الذاكر و إلا حُرِم ثوابها .

(قال فى الفتح) : قد كان بعض العلماء يقول : إن الأعداد الواردة فى الذكر عقب الصلوات إذا رتب عليها ثواب مخصوص فزاد الآتى بها على العدد المذكور لا يحصل له ذلك الثواب المخصوص ، لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد ، وقد بالغ القرافى فى القواعد فقال : من البدع المكروهة الزيادة فى المندوبات

---

(٦٣٨) هو تقرير لرؤيا الأنصارى بوحى .

(٦٣٩) خلتان بفتح الخاء ، أى : خصلتان كما فى رواية ابن حبان .

(٦٤٠) أى : يعدهن بيده الشريفة وهو يذكر الحديث .

ٱلمحدودة شرعًا ، لأن شأن العظماء إذا حدوا شيئا أحبوا أن يوقف عنده ، ويُعد الخارج عنه مسيئًا للأدب أ . هـ .

وقد مثَّله بعض العلماء بالدواء يكون مثلا فيه أوقية سكر فلو زيد فيه أوقية أخرى لتخلف الانتفاع به ، ولو اقتصر على الأوقية فى الدواء ثم استعمل من السكر بعد ذلك ما شاء لم يتخلف الانتفاع ، ويُمثل أيضا بأسنان المفتاح إذا زيد فيها أو نقص منها لا تفتح ، فكذلك العدد المذكور إذا زيد فيه أو نقص لا يحصل الثواب الموعود به فعليك بالاتباع ، وأترك الاختراع وٱلنزاع .

ثم يقول بعد ذلك تحت عنوان :

* عَدُّ التسبيح :

يجوز عَدُّ هذه الأذكار ونحوها بالأصابع أو النوى أو ٱلسُّبْحة أو غيرها (لحديث) هانىء بن عثمان عن حميضة بنت ياسر عن يسيرة بنت ياسر قالت : قال لنا رسول ٱلله صلى ٱلله عليه وعلى آله وسلم : « **عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس وٱعقدن بالأنامل فإنهن مسئولاتٌ مُستنْطقات(٦٤١) ولا تغفلن فتُنْسيْن الرحمة** »(٦٤٢) .

أخرجه الحاكم والترمذى وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث هانىء بن عثمان ، وصحح السيوطى إسناده .

(والتقديس) أى : قول : (سُبوح قُدُّوس ربُّ الملائكة وٱلروح) .

(ولحديث) ابن عمرو قال : **رأيتُ رسول الله صلى ٱلله عليه وعلى آله وسلم يعْقِد التسبيح بيمينه .**

أخرجه أبو داود والترمذى والنسائي والحاكم وصححه ، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأعمش عن عطاء بن السائب .

(ولحديث) سعد بن أبى وقاص أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على امرأة بين يديها نوى أو حصى تُسبّحُ به ، فقال : « **أُخبِرُكِ بما هو أيسرُ**

---

(٦٤١) أى : يطلب منهن النطق فيشهدن لصاحبها أو عليه .. ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾ . (سورة النور آية ٢٤) .

(٦٤٢) أى : تحرمن الرحمة المترتبة على ما ذكر .

عليكِ من هذا أو أفضل ؟ سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، وسبحان الله عدد ما خلق بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك » . أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى ، وابن ماجة ، وابن حبان ، والحاكم ، وصححه وقال الترمذى : حسن غريب .

(ولحديث) صفية قالت : دخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين يدى أربعة آلاف نواة أُسبِّحُ بِهِنَّ ، فقال : **« لقد سبَّحتِ بهذا ؟ ألا أُعلِّمُكِ باكثر مما سبَّحتِ به ؟ فقالت : علِّمنى . فقال : قولى : سبحان الله عدد خلقه »** . أخرجه الترمذى والحاكم وصححه .

(وعن ابن عباس) عن جويرية أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم خرج من عندها بُكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال : **« ما زلتِ على الحال التى فارقتك عليها ؟ »** قالت : نعم . قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **« لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاثَ مراتٍ لو وُزِنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهُنَّ : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته »** . رواه مسلم والنسائى والترمذى وكذا أبو داود عن ابن عباس مرسلاً لم يذكر جويرية .

(وفى الأحاديث) : دلالة على جواز عَدِّ الذكر بالنوى والحصى ، وكذا بالسبحة إذ لا فارق ، لتقريره صلى الله عليه وعلى آله وسلم للمرأتين عليه وعدم إنكاره ، والإرشاد إلى ما هو الأفضل لا ينافى جواز غيره ، وقد قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **« نعم المذكِّرُ السُّبْحة »** . أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس عن على ، وعن أبى سعيد الخدرى أنه كان يسبح بالحصى .

وعن أبى هريرة أنه كان معه كيس فيه حصى أو نوى فيُسبِّح به حتى ينفد . أخرجهما ابن أبى شيبة .

وقد ذكر السيوطى آثارًا أخرى فى رسالة : (المنحة فى السبحة) ثم قال : ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من جواز عَدِّ الذكر بالسبحة بل كان أكثرهم يعدونه بها ولا يرون ذلك مكروهًا أ . هـ .

(ومحل) جواز اتخاذ السُّبحة للذكر ما لم يترتب عليه رياء أو سمعة وإلا مُنع ،

كما يُمنع وضعها فى العنق كما يفعله بعض الجهلة ، ووضعها فى اليد وإدارتها من غير ذكر .

(وقد سئل) العلامة الشيخ على العدوى عن اتخاذ السُّبح (فأجاب) بأن اتخاذ السُّبح الكبار من الخشب أو غيره حرام يجب التباعد عنه باتخاذ سُبحة من السُّبح المعتادة التى لا يحصل بها شهرة ، وبعد اتخاذها على هذا الوجه لا يضعها فى رقبته أو نحوها مما يُفيد أن حاملها من المتصوفة ، فيؤول أمره إلى الرياء المحرم بالإجماع ، ويحذر أيضًا مما يفعله بعض الناس من كونه يتكلم مع الناس فى اللهو واللعب ، ويُدير السُّبحة من أولها إلى آخرها ويوهم أنه يُسبِّحُ فى تلك الحالة ، والحاصل أنه إذا تعاطى السبحة على الوجه المعتاد يتباعد عن الأمور المقتضية للشهرة والعجب والرياء ، لأن ذلك كله محبط للعمل أ . هـ .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام ونفذه على هذا الأساس الذى وقفت عليه .. وأرجو إن شاء الله بسبب هذا التنفيذ الأمثل أن تكون من أهل الفضل المشار إليه فى ختام الحديث الشريف الذى درنَا حوله ..

والله ولى التوفيق ،،

(٩٩) يا رسول الله أخبرنى عما عَلَّمك الله وأجهلُه .. ؟

عن أبى نجيح عمرو بن عبسة (بفتح العين والباء) السلمى رضى الله عنه قال : كنتُ وأنا فى الجاهلية أظن أن النَّاس على ضلالةٍ وأنهُم ليسوا على شىءٍ (٦٤٣) وهم يعبدون الأوثان ، فسمعتُ برجُلٍ بمكة يُخبرُ أخبارًا فقعدتُ على راحلتى (٦٤٤) فقدمتُ عليه فإذا رسول الله ﷺ مُسْتَخْفيًا (٦٤٥) جُرءاءُ (٦٤٦) عليه قومُه ، فتلطَّفْتُ حتى دخلتُ

(٦٤٣) ينفعهم عند الله تعالى .

(٦٤٤) ركبت عليها مسافرًا .

(٦٤٥) مستترًا من الكفار والأشرار .

(٦٤٦) جمع جرىء من الجرءة : الإقدام والتسلط .

عليه بمكة فقلت له : ما أنت ؟ قال : « أنا نبيٌّ . قلت : وما نبيٌّ (٦٤٧) ؟ قال : أرسلنى الله . قلتُ : بأيِّ شيءٍ أرسلك ؟ قال : أرسلنى بصلةِ الأرحام ، وكَسْرِ الأوثانِ ، وأن يُوحَّد الله لا يُشركُ به شيءٌ . قلتُ : فمن معك على هذا ؟ قال : حُرٌّ وعبدٌ . ومعه يومئذ أبو بكر وبلالٌ رضى الله عنهما ، قلتُ : إنِّى مُتبِعُك(٦٤٨) ، قال : إنك لن تستطِيع ذلك يومَك هذا ألا ترى حالِى وحَال الناس ؟ ولكن ارجع إلى أهْلِك فإذا سمعت بى قد ظهَرتُ فاتنِى . قال : فذهبتُ إلى أهلى ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنتُ فى أهلى فجعلت أتخبَّرُ الأخبار وأسأل الناس حين قدِم المدينة حتى قدم نفَرٌ من أهلى المدينة فقلتُ : ما فعل هذا الرجُل الذى قدم المدينة ؟ فقالوا : الناسُ إليه سُراعٌ وقد أراد قومهُ قتلهُ فلم يستطيعُوا ذلك ، فقَدمتُ المدينة فدخلتُ عليه فقلتُ : يا رسول الله أتعرفُنى ؟ قال : « نعم أنت الذى لقيتنى بمكة » قال : فقلتُ : يا رسول الله أخبرنى عما علمك الله وأجهله ، أخبرنى عن الصلاة(٦٤٩) ؟ قال : « صَلِّ صلاة الصُّبح ثم اقصُر (٦٥٠) عن الصلاة حتى ترتفع الشمس قيدَ رُمْحٍ(٦٥١) فإنها تطلُع حين تطلُع بين قرنى شيطان وحينئذٍ يسجُدُ لها الكفار ، ثم صَلِّ فإن الصلاة مشهودةٌ محضُورةٌ(٦٥٢) حتى يستقل الظِلُّ بالرُّمْحِ(٦٥٣) ، ثم اقصُر عن الصلاةِ فإنه حينئذٍ تُسْجرُ جَهنَّم(٦٥٤) ، فإذا أقبل الفيء فصَلِّ فإن الصلاةَ مشهودةٌ محضُورةٌ حتى تُصلِّىَ العصر ، ثُم اقصُر عن الصلاةِ حتَّى تغربَ الشمسُ فإنها تغربُ بين قرنَى شيْطانٍ وحينئذٍ يسجُدُ لها الكُفَّارُ » قال : فقلتُ : يا نبىَّ الله فالوضوءَ حدِّثنى عنه ؟ فقال : « ما منكُم رجُلٌ يُقرِّبُ وضوءَهُ فيتمضْمضُ ويسْتنْشِقُ(٦٥٥) فينْتثِرُ إلا خَرَّت خطايا وجهِهِ وفيه وخياشيمه(٦٥٦) ، ثم إذا

---

(٦٤٧) أى : ما حقيقة النبى المميزة له عما سواه .

(٦٤٨) أى : على إظهار الإسلام وإقامتى معك .

(٦٤٩) أى : النافلة .

(٦٥٠) أى : اقعد عن صلاة النوافل التي لا سبب لها .

(٦٥١) أى : قدره .

(٦٥٢) أى : تحضرها ملائكة الرحمة نهارًا وتشهد لمن صلاها .

(٦٥٣) أى : يبلغ ظله أدنى غاية النقص وقت استواء الظهر .

(٦٥٤) أى : تهيج بالوقود .

(٦٥٥) أى : يجذب الماء من خياشيمه ثم يدفعه ليزيل ما فى أنفه من الأذى .

(٦٥٦) جمع خيشوم أقصى الأنف .

غسَلَ وجهـهُ كما أمره الله إلا خرَّتْ خطـاياَ وجهـهِ من أطراف لحيتِـهِ مع الماء ، ثم يغسلُ يديه إلى المرفقين إلاّ خرَّت خطايا يديْه منْ أناملِهِ (٦٥٧) مع الماء ، ثم يمسح رأسـه إلا خرَّت خطـايـا رأسه من أطـراف شعـرِهِ مع الماء ، ثم يغسلُ قدميـهِ إلى الكعبين إلا خرَّت خطـايا رجليه من أنـاملِهِ مع الماء ، فإن هو قـام فصلّى فحمِد الله تعالى وأثنى عليه ومَجّدهُ(٦٥٨) بالذى هو لـهُ أهلٌ وفرغ قلبهُ لله تعالى إلا انصرف من خطِيئتِهِ كهيئتِهِ يوم ولدتهُ أُمهُ » .

فحدَّث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أُمامةَ صاحب رسول الله ﷺ ، فقال له أبو أُمامة : يا عمرو بن عبسة انظر ما تقـول فى مقام واحدٍ يُعطى هذا الرجل ؟ فقال عمرو : يا أبا أُمامة لقد كبِرت(٦٥٩) سنِّى(٦٦٠) ورق عظمى(٦٦١) واقتربَ (٦٦٢) أجلى وما بى حاجة(٦٦٣) أن أكذب على الله تعـالى ولا على رسول الله ﷺ لو لم أسمعـه من رسول الله ﷺ إلا مرةً أو مـرتين أو ثلاثًا ، حتى عَدَّ سبع مـراتٍ ، ما حدَّثتُ أبدًا بـه ولكنى سمعته أكثر من ذلك » . رواه مسلم .

ففى هـذا الحديث الشريف الصحيح يجيب النبى صلـوات الله وسـلامه عليـه عن بعض التسـاؤلات الهامة التى وجهها إليه هـذا الرجل الموفق وهـو (عمرو بن عبسـة السلمى) رضى الله عنه الـذى كان قد التقى برسول الله ﷺ بمكـة فى المرحلة الأولى من الإسلام ، والتـى كان النبى ﷺ يـدعو فيها إلى الله تعـالى سرًا .. فتلطف ـ أى : تـرفق فى الأمر مع قرشى ـ حتى دخل عليه ثم سأله : (ما أنت ؟ قال : أنا نبى) ثم يقول : (فقلت وما نبى ؟) أى : ما حقيقة النبى المميـزة له عن سواه (قال : أرسلنى الله) أى : أرسل الله إياى (قلت : بأى شىء أرسلـك ؟ قال : أرسلنى بصلة الأرحـام ، وكسر الأوثان وأن يُوحَّد الله لا يشرك به شىء) ففى هذا دلالـة ظاهرة على الحث على صلة الأرحام لأن الله تعالى قرنها بالتوحيد ولم يذكر جزئيات الأمور وإنما ذكر مهمها وبدأ بالصلة ..

---

(٦٥٧) أى : أطراف أصابعه .
(٦٥٨) وصفه وعظّمه .
(٦٥٩) أى : تقدمت .
(٦٦٠) أى : عمرى .
(٦٦١) أى : نحف ونحل .
(٦٦٢) أى : قرب .
(٦٦٣) داعية .

(قلت : فمن معك على هذا ؟ قال : حـر وعبد ومعه يومئذ أبـو بكر وبلال رضى الله عنهما ، فقلت : إنى مُتبعك) أى : على إظهار الإسـلام هنا وإقـامتى معك (قال : إنك لن تستطيع ذلك يـومك هـذا) أى : فى هذا الـزمن الحاضر وذلك لضعف شـوكة الإسـلام فيُخافُ عليك من أذى كفار قريش (ولكن ارجع إلى أهلك) .

قـال القاضى عيـاض : ليس معناه أنـه رَدَّهُ دون إسلام ، وإنما رده عن صحبتـه واتباعه ، لانـه كان فى أول الإسلام وقبل قوتـه فخاف عليه لغربتـه أن تُهلكه قريش أو تفتنه أ . هـ .

وحينئذ فتقدير الكلام(٦٦٤) .. لكن قد حصل أجرك فـابق على إسلامك وأرجع إلى قومك وأستمـر على إسلامك حتى تعلمنى ظهرتُ (فإذا سمعتَ بى قـد ظهرتُ فأتنى) فيه معجزة للنبى ﷺ وهى إعلامه بأنه سيظهر فكان كما أخبر (فذهبت) أى : رجعـتُ (إلى أهلى ، وقدِم رسـول الله ﷺ المدينة وكنت فى أهلى) أى : مقيمًا فيهم (فجعلتُ) من أفعال الشروع (أتخبّرُ الاخبار) أى : أتكلف الوقوف عليها وأعانى ذلك (وأسأل الناس حين قدم المدينـة) أى : وقتَ قدومـه لها (حتى قـدم نفر(٦٦٥) من أهل المدينـة) أى : المقيمين بها القاطنين فيها (فقلتُ : ما فعل هذا الرجل الـذى قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس إليـه سراع) بكسر السين أى : مسرعين (وقد أراد قـومـه) أى : كفـار قريش (قتلـه) بأنواع من المكر والخديعة المذكورة عنهم فى كتب السير (فلم يستطيعوا ذلك) بل رَدَّ الله كيدهم فى نحرهم وحفِظ نبيه ﷺ من ذلك (فقدمتُ المدينة) أى : امتثالاً لقوله : ـ (فإذا سمعت بى قد ظهـرت فأتنى) ـ (فدخلت عليـه فقلت : يا رسول الله أتعرفـنى ؟ قال : نعم ، قال : فقلت : أخبرنى عما علّمك الله) أى : أخبرنى عن حكمه وصـفته وبيِّنـه لى (وأجهله) يُحتمل أن يكون الاحتراز عما علمه منه ﷺ فى اجتماعه السابق به (أخبرنى عن الصلاة) أى : النـافلة (قـال : صلِّ الصبح ثم اقصُر) بضم الصاد أى اقعـد (عن الصلاة) أى النفل المطلق الذى لا سبب له أو له سبب متأخر (حتى تطلع الشمس حتى ترتفع) والمراد ارتفـاعها كـرمح فى رأى العين .. ثم النافلـة تحرم من صلاة الصبح إلى ارتفاعها على من صلى الصبح ، أما من لم يُصلِّهـا فلا تحرم عليه إلا من طلوع الشمس لا قبل ، إلى الغاية المذكورة (فإنها) أى الشمس (تطلعُ) بضم اللام (حين تطلعُ) أى :

(٦٦٤) كما يقول فى (دليل الفالحين) .

(٦٦٥) النفر ما بين الثلاثة والتسعة ، وقيل : السبعة من الرجال .

وقت طلوعها (بين قرنى شيطان) وتنكير شيطان لتحقيره ، وقرناه : ناحيتا رأسه .. وسُمِّى شيطانًا لتمرده وعُتُوِّه وكل مارد عَاتٍ شيطان ، والأظهر أنه مشتق من شطنَ إذا بعد لبعده من الخير والرحمة ، وقيل : من شاط إذا هَلك واحترق .. والمعنى أى : المصلى حينئذ كالساجد للشيطان (وحينئذ يسجد لها الكفار) أى : وحين تطلع بين قرنيه .

قال القاضى عياض : هذا يدل على صحة تأويل من جعله على ظاهره وأن الشيطان يفعل ذلك ويتطاول لها ليخادع نفسه أن السجود له (ثم صلِّ) أى : ما شئت من النفل (فإن الصلاة مشهودةٌ محضورةٌ) أى : يحضرها الملائكة فهى أقرب إلى القبول وحصول الرحمة .

قال فى فتح الإله : أى : تحضرها ملائكة النهار لتكتبها وتشهد بها لمن صلاها .. (حتى يستقل) من القلة لا من الإقلال الذى هو الارتفاع وهو غاية لقوله صلِّ (الظل بالرمح) المغروس بالأرض .. أى : حتى يستقل الرمح بالظل أى : يبلغ ظله أدنى غاية النقص .. (ثم اقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر) أى : تهيج بالوقود (جهنم) وتسجر بتقدير أن المصدرية قبله اسم إن .. (فإذا أقبل الفيء) أى : إلى جهة المشرق ، وألفيء مختص بما بعد الزوال ، وأما الظل فيقع على ما قبل الزوال وبعده .. (فصَلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تُصلى العصر) قال المصنف : فيه دليل على أن النهى لا يدخل بدخول وقت العصر ولا بصلاة غير الإنسان ، وإنما يكره لكل بصلاته حتى لو أخَّرها عن أول الوقت لم يكره التنفل أ . هـ .

ومراده أخرها عن أول الوقت لما تقرر أنها من الاصفرار يكره لمن صلى ولغيره (ثم أقصر عن الصلاة) أى : النافلة التى لا سبب لها أو لها سبب متأخر (حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرنى شيطان) فى تنكيره ما مر أى : لتحقيره (وحينئذ يسجد لها الكفار) هذه حكمة النهى ، وليست بعلة لعدم أطرادها ، وإلا لنهى عن ذات السبب وفى مكة أيضًا .

قال العز بن عبد السلام : التعليل لذلك لا يظهر ، لأن تعظيم الله فى وقت يسجد فيه لغيره أولى لما فيه من إرغام أعدائه(٦٦٦) ، ولو صح التعليل فأى فرق بين ذى السبب وغيره أ . هـ .

وأُجيب بأنها حكمة فلا يلزم اطرادها ووجه اختصاصها بغير ذى السبب وبوقتى الطلوع والغروب أن إنشاء صلاة لا سبب لها فى هذا الوقت فيه نوع تشبه بالكفار فى

---

(٦٦٦) إرغام أعدائه : قهرهم وتحزين نفوسهم .

عبادتهم للشمس حينئذ ، وقد نهينا عن التشبه بهم ، بل وعما يؤدى إليه أو يوهم ، ولا شك أن إيقاع ذلك حينئذ يستلزم ذلك بخلاف ذات السبب كالعيد والضحى بناء على دخول وقتهما بالطلوع ، فإن ظهور السبب الحامل عليها ينفى ذلك ...

هذا .. وأحب بعد هذا التلخيص الوارد حول شرح الحديث ـــ الذى ندور حوله ـ فى كتاب : (دليل الفالحين) أن أُزود الأخ القارىء بإيجاز مفيد آخر قرأته فى كتاب (الفقه الواضح) تحت عنوان .

* الأوقات المنهى عن التنفل فيها :

يقول فيه(٦٦٧) : هناك أوقات نهى رسول الله ﷺ عن التنفل فيها ، سنذكرها لك هنا بالتفصيل ، ثم نبين ما إذا كان النهى للكراهة ، أو للتحريم .

١ ، ٢ ـ الوقت ما بين صلاة الصبح ، وطلوع الشمس .

والوقت ما بين صلاة العصر ، وغروب الشمس .

وذلك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى أناس أحبُّهم إلىّ عمر رضى الله عنه : أن النبى ﷺ : نهى عن الصلاة بعد العصر ، حتى تغرب الشمس ، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس .

وفى رواية للبخارى ومسلم عنه ـــ أيضًا ـــ قال : شهد عندى رجال مرضيون ، وأرضاهم عندى عمر رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق ، وبعد العصر حتى تغرب ، وهذا النهى لمن كان قد صلى الصبح والعصر .

أما من لم يكن قد صلى الصبح ، أو العصر ، فلا باس أن يُصلِّى نفلاً ، مثل سنة الفجر ، وسنة العصر .

قال بذلك جمهور الفقهاء .

٣ ، ٤ ، ٥ ـ الوقت من طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رُمح ، ووقت الاستواء .

وهو الوقت الذى تكون فيه الشمس فى وسَط السماء ـ أى : قبل الظهر بدقائق ، وعند غروب الشمس .

---

(٦٦٧) الأستاذ الدكتور / محمد بكر إسماعيل ـ أكرمه الله .

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال : « **ثلاث ساعات ، كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نُصلّى فيهنّ ، أو نقبر**(٦٦٨) **موتانا ، حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم**(٦٦٩) **الظهيرة ، وحين تضيف**(٦٧٠) **الشمس للغروب** » . رواه مسلم .

ويجمع هذه الأوقات الخمسة ، حديث عمرو بن عبسة رضى الله عنه ـ وهو الذى ندور حوله ـ قال : « **قلت : يانبي الله أخبرني عن الصلاة . قال : صَلِّ صلاة الصبح ، ثم أقصر عن الصلاة ، حتى تطلع الشمس حتى ترتفع ، فإنها تطلُع ، حين تطلع بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صَلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة ، حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر جهنم ، فإذا أقبل الفيء فصَلِّ ، فإن الصلاة مشهودة محضورة ، حتى تُصَلّى العصر ، ثم أقصر عن الصلاة ، حتى تغرب الشمس ، فإنها تغرب بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار** » . رواه مسلم .

هذا . والنهى عن التنفل فى هذه الأوقات الخمس عام ، يشمل جميع النوافل .

خلافًا للشافعية ، فإنهم قالوا : إن النهى مُنصب على النفل ، الذى ليس له سبب .

أما النفل الذى له سبب ، مثل تحية المسجد ، وسنة الوضوء ، وسجدة التلاوة ، فإنه لا يكره فى هذه الأوقات .

ووافقهم الحنابلة فى جواز صلاة تحية المسجد ، والإمام على المنبر ، على ما سيأتى بيانه ، وخالفوهم فيما سوى ذلك .

٦ ـ **التنفل عند إقامة الصلاة** : وهو منهى عنه ، بدليل قوله ﷺ : « **إذا أُقيمت الصلاة ، فلا صلاة إلا المكتوبة** » رواه مسلم عن أبى هريرة .. أى : فلا تُصلوا إلا الصلاة المفروضة ، التى أقام لها المؤذن .

وقد اختلف الفقهاء فيمن صلى ركعتين ، عند إقامة الصلاة ، هل تنعقد صلاته وتكون صحيحة ، أو لا تنعقد ، ولا تصح ؟

---

(٦٦٨) أى : ندفن موتانا .

(٦٦٩) أى : عند الاستواء وهو توسط الشمس فى السماء .

(٦٧٠) أى : تميل إلى الغروب .

* قولان :

فمن قال بصحتها، حمل النهى على الكراهة ، ونفى الكمال .

ومن قال بعدم صحتها، حمل النهى على التحريم ، وعدم الصحة ، أى : إذا أُقيمت الصلاة ، فلا تصح صلاة إلا الصلاة المفروضة .

واختلفوا أيضًا فيمن شرع فى صلاة النافلة ، قبل الإقامة ، ولم يتم صلاته . هل يقطعها ، أو يتمها ؟

قال كثير من الفقهاء : يتمها ما دام قد شرع فيها قبل الإقامة ، ولا يقطعها ، لقوله تعالى : ﴿ **ولا تُبطلوا أعمالكم** ﴾[٦٧١] ، ما لم يخف فوات ركعة مع الإمام .

وقيل : لا يقطعها ، حتى ولو خاف فوات ركعة مع الإمام ، لأنه عمل صالح ، نهانا الله عن إبطاله فى قوله جل وعلا : ﴿ **ولا تُبطلوا أعمالكم** ﴾ .

وقال جماعة من الفقهاء : يقطع الصلاة ، ما لم يركع ، فإن ركع ، فقد انعقدت الصلاة ، فلا ينبغى أن يقطعها ، بل يُتَمِّمُهَا ، ويُخففُهَا ، حتى يدرك الصلاة مع الإمام ، قبل أن يركع للركعة الأولى .

هذا . وقد استثنى بعض الفقهاء على اختلاف مذاهبهم من النهى ركعتى الفجر . فقالوا : من سَمِع الإقامة لصلاة الصبح ، ولم يكن قد ركع ركعتى الفجر المسنونة ، فله أن يركعَهُما خارج المسجد ، أى داخله ، ما لم يخف فواتَ ركعةٍ مع الإمام .. واستدلوا على ذلك بفعل بعض الصحابة مثل عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ــ رضى الله عنهم ـ فعن زيد بن أسلم رضى الله عنه : أن ابن عمر رضى الله عنهما جاء والإمام يُصلى الصبح ، ولم يكن صلى الركعتين قبل صلاة الصبح ، فصلاهما فى حجرة حفصة ، وصَلَّى مع الإمام .

وقال أبو عثمان الأنصارى : « **جاء عبد الله بن عباس ، والإمام فى صلاة الغداة**[٦٧٢] ، **ولم يكن صلى الركعتين ، فصلى الركعتين خلف الإمام ، ثم دخل معه** » . أى صلى وراءه فى آخر المسجد منفردا ثم اقتدى به فى صلاة الصبح .

---

(٦٧١) سورة محمد : الآية ٣٣ .

(٦٧٢) أى . الصبح .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه كان يدخل المسجد ، ثم يدخل مع القوم فى الصلاة .

أخرج هذه الآثار الثلاثة الطحاوى .

وقال أبو موسى : « **أُقيمت الصلاة ، فتقدم عبد الله بن مسعود إلى اسطوانة**(٦٧٣) **فى المسجد فصلى ركعتين ، ثم دخل يعنى فى الصلاة** » أخرجه الطبرانى فى الكبير . ورجاله ثقات .

وذهب جمهور كبير من الفقهاء إلى تعميم النهى، فى كل صلاة ، لعموم قوله ﷺ : « **إذا أُقِيمت الصلاة ، فلا صلاة إلا المكتوبة** » .

ولقول أبى موسى رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً صلى ركعتى الغداة ، حين أخذ المؤذن يُقيم ، فغمز النبى ﷺ منكبه ، وقال : « **ألا كان هذا قبل هذا** » . أخرجه الطبرانى ورجاله ثقات .

وهذا القول هو الأصح ، لورود الأحاديث المصرحة بنهيه ﷺ عن صلاة التطوع مطلقًا ، عند إقامة الصلاة ، ولاسيما حديث أبى موسى هذا ، فإن فيه نهى الرسول ﷺ الرجل عن صلاة ركعتى الغداة حين رآه قد صلاهما عند شروع المؤذن فى الإقامة ، وقال له : « **ألا كان هذا قبل هذا** » .

٧ ـ **الصلاة والإمام يخطب** : فقد اتفق الأئمة على حرمة الصلاة ، والإمام يخطب فى حق من كان جالسًا قبل صعود الإمام على المنبر لأن التنفل مستحب ، وسماع الخطبة فرض ، والفرض مقدم على المستحب .

واختلفوا فيمن لم يكن قد صلى الصبح ، وذكره أثناء الخطبة .

فقال المالكية : يقوم لصلاة الصبح ، لأن صحة الجمعة تتوقف على صلاته ، بناء على أن الترتيب بين الصلوات واجب ، إذا كانت خمس صلوات فأقل ، وبذلك قال الحنفيون أيضًا ، واختلفوا فيمن أتى المسجد ، والإمام على المنبر ، ولم يكن قد صلى تحية المسجد .

فقال المالكية والحنفية : يجلس لسماع الخطبة ، ولا يُصلى تحية المسجد ، لأن التحية سنة ، وسماع الخطبة فرض ، والفرض مقدم على السنة .. ولأن النبى ﷺ قد

(٦٧٣) أى : إلى عمود اتخذه سترًا .

نهى عن الكلام أثناء الخطبة ، حتى ولو كان أمرًا بمعروف ، أو نهيًا عن منكر ، فتحية المسجد من باب أولى .

وجوَّز الشافعية والحنابلة : لمن أتى المسجد ، ولم يكن قد صلى التحية أن يركع ركعتين خفيفتين ، والإمام يخطب ، مستدلين بحديث سُليك الغطفانى الذى رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : جاء سُليك الغطفانى يوم الجمعة ، ورسول الله ﷺ يخطب ، فجلس ، فقال له « **يا سُليك قم فاركع ركعتين ، وتجوَّز فيهما . ثم قال : إذا جاء أحدكم يوم الجمعة ، والإمام يخطب ، فليركع ركعتين ، وليتجوز فيهما(*)** » .

ثم يقول بعد ذلك فى (الفقه الواضح) تحت عنوان :

* هل النهى للكراهة أم للتحريم ؟

اختلف الفقهاء فى هذا النهى عن الصلاة فى هذه الأوقات المتقدم ذكرها ، هل هو للكراهة ، أم للتحريم ؟

للشافعية قولان : قول بأن النهى للكراهة التنزيهية .

وقول بأنه لكراهة التحريم .

وقال المالكية : النهى عن الصلاة بعد صلاة الصبح والعصر للكراهة .. وأما النهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فللتحريم ، لما فيه من التشبه بعباد الشمس . وكذلك التنفل عند إقامة الصلاة ، وعندما يكون الإمام على المنبر يوم الجمعة . أ. هـ .

وتلك هى الخلاصة التى أستريح إليها ، والتى أرجو أن ينتفع بها الأخ المسلم حتى لا يفعل مكروهًا .. بل وحتى يكون بسبب هذا العلم النافع من أهل الفقه فى الدين .

وإذا كان لنا بعد ذلك أن نعود إلى الحديث الشريف ـ الذى ندور حوله ـ فقد قال عمرو بن عبسة : « قال : فقلتُ : يا نبى الله فالوضوء حدثنى عنه ؟ فقال : « **ما منكم رجلٌ يُقرِّبُ وضوءه فيتمضمض ويستنشقُ فيستنثرُ إلا خرَّت خطايا وجْهِهِ وفيه وخياشيمه ، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرَّت خطايا وجهه من أطراف**

(*) أى يخففهما .

لحيتهِ مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرَّت خطايا يديه من أناملهِ مع الماء ، ثم يمسح رأسه إلا خرَّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرَّت خطايا رجليه من أناملهِ مع الماء ، فإن هو قام فَصَلّى فحمد الله تعالى وأثنى عليه ومَجّده بالذى هُو لهُ أهلٌ ، وفَرَّغ قلبه لله تعالى إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أُمُّهُ » .

وهذا معناه أن الوضوء الصحيح يكفر الذنوب ـ الصغائر ـــ التى ارتكبها المسلم قبله وقد ورد فى هذا أحاديث كثيرة (منها) .

(حديث) أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه ، خرجت من وجهه كل خطيئةٍ نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء . فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيًا من الذنوب » .

أخرجه مالك وأحمد ومسلم والترمذى وقال : حسن صحيح .

(وحديث) عبد الله الصُّنابحىّ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فِيهِ ، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه(٦٧٤) ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه ، فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه ، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له » أخرجه مالك وأحمد والنسائى والحاكم ، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ، وليس له علة .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ألا أدلكم على ما يُكفِّر الله به الخطايا ويزيد به الحسنات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخُطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة » . أخرجه أحمد وابن حبان .

---

(٦٧٤) الأشفار : جمع شفر بضم فسكون . اصل منبت الشعر فى الجفن .

وعن عثمان بن عفان أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **من توضأ فأسبغ الوضوء ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاها ، غُفر له ذنبه** » . أخرجه أحمد ومسلم وابن خزيمة .

وإذا كنتُ قد أشرتُ إلى أن الوضوء يكفر الذنوب الصغائر .. فإننى أيضًا أُذكِّر الأخ المسلم بأن تحقيق هذا يتوقف على تنفيذ شرط هام .. ألا وهو اجتناب الكبائر ، كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه نُكفِّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخَلاً كريمًا** ﴾ (٦٧٥).

كما نذكره أيضًا بأن الكبائر جمع كبيرة ، وهى ما ورد فيها تحذير شديد ، وغلُظت عقوبتها ، وأكبر الكبائر : الشرك بالله ، ويليه قتل النفس بغير حق ، والزنا ، والسرقة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين ، والفرار من ميدان المعركة ، وعمل السحر ، والكذب ، وقول الزور ، وتبذير المال فى غير محله ، والقذف ، وهو : رمى العفيف بالزنا ...

وقد جمع أبو طالب المكى رحمه الله تعالى الكبائر على النحو التالى ، الذى ذكُرت به قبل ذلك ، وأرى إعادته هنا للتذكير به فى هذا الموقع بالذات ، وأيضًا لتأكيد المعنى المراد من هذا التذكير :

أربعة فى القلب وهى : الشرك بالله تعالى ، والإصرار على معصية الله تعالى ، والقنوط من رحمة الله تعالى ، والأمْنُ من مكر الله تعالى .

وأربعة فى اللسان وهى : شهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، واليمين الغموس ، والسحر .

وثلاثة فى البطن وهى : شرب الخمر ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وهو يعلم .

واثنتان فى اليدين وهما : القتل ، والسرقة .

واثنتان فى الفرج وهما : الزنا ، واللواط .

وواحدة فى الرِّجْل وهى : الفرار من الزحف .

وواحدة فى جميع البدن وهى : عُقوق الوالدين .

---

(٦٧٥) سورة النساء : الآية ٣١ .

وهذه الكبائر لا يكفرها إلا التوبة الصادقة المشار إليها فى قول الله تعالى : ﴿ **ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى الله متابًا** ﴾(٦٧٦).

هذا ، وإذا كان ختام الحديث ـ الذى ندور حوله ـ يشير إلى ضرورة تحرى الصدق فى تبليغ حديث رسول الله ﷺ .. فإننى أُذكِّرُ الأخ المسلم بهذين الحديثين الشريفين اللذين أرجو أن ينتفع بهما .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كذبَ علىّ مُتَعَمِّدا فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ من النار** » . رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وعن سمرة بن جُندب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من حَدَّث عنى بحديث يرى أنه كذب**(٦٧٧) **فهو أحد الكاذبين** » . رواه مسلم وغيره .

وفى رواية (فهو أحد الكذابين) ، وفى هذا الحديث(٦٧٨) وعيد شديد لأولئك المتساهلين من المحدثين الذين يملأون دواوينهم بالأحاديث الواهية والموضوعة وهم يعرفون ضعفها وبطلان أسانيدها من أمثال أبى نعيم فى الحلية ، والديلمى فى الفردوس ، والحاكم فى مستدركه ، والسيوطى فى جوامعه ، ويستبيحون رواية المناكير والموضوعات فى باب الترغيب والترهيب وفى فضائل الأعمال .

وهو يعنى بهذا أن لا نركز على هذه الأحاديث فى وعظنا وإرشادنا لأنها ليست فى قوة الصحيح .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى لا يقع فيه ، وهو يساله سبحانه وتعالى أن يعافينا وإياه منه ، وليكن أيضًا فى نفس الوقت حريصًا على أن يكون من الذين دعا لهم النبى صلوات الله وسلامه عليه فى قوله الذى ورد :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **نَضَّر الله امرءًا سَمِعَ مِنَّا شيئًا فتلَّغه كما سمعه**(٦٧٩) ، **فَرُبَّ مُبلَّغ أوعى مِنْ سامِعٍ** » . رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال : (**رحم الله امرأ**) وقال الترمذى :

---

(٦٧٦) سورة الفرقان : الآية ٧١ .

(٦٧٧) أى : يعلم أنه مختلق وموضوع .

(٦٧٨) كما جاء فى هامش الترغيب والترهيب ج ١ تعليق الشيخ خليل الهراس رحمه الله تعالى .

(٦٧٩) أى : على الوجه الذى سمعه من غير زيادة ولا نقص يخل بأصل المعنى ، فمن زاد أو نقص هو مغير لا مبلغ .

حديث حسن صحيح .

قوله (نَضَّر) بتشديد الضاد المعجمة وتخفيفها حكاه الخطابى ، ومعناه الدعاء له بالنضارة ، وهى النعمة والبهجة والحسن ، فيكون تقديره : جَمَّلَهُ الله وزَيَّنَهُ ، وقيل : غير ذلك .

أسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لهذا الدعاء المحمدي ، والله ولى التوفيق ،،

(١٠٠) أَلِيَ هذا .. يا رسول الله .. ؟

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجُلاً أصاب من امرأة قبلةً فأتى النبى ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة طرفى النَّهار**(٦٨٠) **وزُلَفًا**(٦٨١) **من الليل إن الحسناتِ يُذهِبْنَ**(٦٨٢) **السيِّئاتِ** ﴾(٦٨٣) ، فقال الرجُل : ألِي هذا(٦٨٤) يا رسول الله ؟ قال : « **لجميعِ أُمَّتِى كُلِّهِمْ** » . متفق عليه .

وعن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجُلٌ إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أصبتُ حَدًّا فأقمه علىّ ، وحضرتِ الصلاة فصلّى مع رسول الله ﷺ فلما قضى الصلاة قال : يارسول الله إنى أصبتُ حدًّا فأقم فىَّ كتاب الله . قال : « **هل حضرت معنا الصلاة ؟** » قال : **نعم** ، قال : « **قدْ غُفِر لك** » . متفق عليه .

وقوله (أصبتُ حَدًّا) معناه : معصيةً توجب التعزير وليس المراد الحدَّ الشرعِىَّ الحقيقي كحد الزِّنَا والخمر وغيرهِمَا ، فإن هذه الحدود لا تسقط بالصلاة ولا يجوز للإمام تركها .

ففى هذين الحديثين الشريفين المتفق عليهما يشير فيهما النبى صلوات الله وسلامه عليه من خلال موضوع الحديثين إلى أهم ما ينبغى على المسلم أن يكون على علم به ..

---

(٦٨٠) غدوة وعشية .

(٦٨١) ساعات قريبة من النهار أى : المغرب والعشاء ، والطرف الأول : الصبح والظهر والعصر .

(٦٨٢) أى : يكفرنها .

(٦٨٣) سورة هود الآية ١١٤ .

(٦٨٤) أى : إن صلاتى تذهب معصيتى ؟ .

حتى يخاف من الله تبارك وتعالى ، وحتى يستبشر فى نفس الوقت برحمة الله تبارك وتعالى الذى يقول : ﴿ **قل يا عبادِيَ الذين أسرفوا على أنفُسِهِمْ لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾(٦٨٥).

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشرُ أمثالِها أو أزيد ، ومَن جاء بالسيئة فجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها ، أو أغفِرُ ، ومنَ تقرب مِنّى شِبرًا تقربتُ منه ذِراعًا ، ومَن تقَرَّب منى ذِراعًا تقربتُ منه باعًا ، ومنَ أتانى يمشى أتيتُه هرولَةً ، ومن لقِينى بقُرابِ الأرضِ خطيئةً لا يُشركُ بى شيئًا لقِيتُه بمثلها مغفرةً** » . رواه مسلم .

ومعنى الحديث : من تقرب إلىّ بطاعتى تقربتُ إليه برحمتى وإن زاد زدتُ ، فإن أتانى يمشى وأسرع فى طاعتى أتيتُه هرولة : أى : أصببتُ عليه الرحمة وسبقتُه بها ولم أُحوجْه إلى المشى الكثير فى الوصول إلى المقصود ، وقُراب الأرض بضم القاف ، ويقال بكسرها والضم أصح وأشهر ، ومعناه : ما يقارب ملأها ، والله أعلم .

والقاعدة الأساسية فى تحقيق هذه المغفرة لابد وأن تكون توحيدًا خالصًا لله تبارك وتعالى ، الذى قال : ﴿ .. **لا يغفر أن يُشرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ .

وعن أنس رضى الله عنه : « **أن النبى ﷺ ومعاذ رديفُهُ على الرَّحْل ، قال : يامعاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك « ثلاثًا » ، قال : ما مِن عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا مِن قلبه إلا حرمه الله على النار ، قال : يا رسول الله أفلا أُخْبِر بها الناس فليستبشروا ؟ قال : إذًا يتَّكلُوا ، فأخبر بها مُعاذٌ عند موتهِ تأثُّمًا** » . متفق عليه .

ومعنى : « **إذًا يتكلوا** » . أى : يتركوا الأعمال ويتكلوا على ذلك فيفوتهم بذلك عالى المنازل فى العقبى ، وهو ﷺ لمزيد اهتمامه بأمته وأعتنائه بشأنهم لا يُريد لهم إلا المنازل العُلا ، فأشار إلى معاذ بالترك لأنه رأى الثمرة المترتبة عليه أتم من المترتبة على الإعلام ، (فأخبر بها معاذ عند موته تأثُّما) أى : خوفا من الإثم فى كَتْم هذا العلم ، أى : كتم هذا القدر منه ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ .

---

(٦٨٥) سورة الزمر . الآية ٥٣ .

البقـرة : ١٥٩، أى: أولئك الكـاتمون لأمـر محمد ولـدينـه ، يطـردهم الله من رحمتـه ، وتلعنهم الملائكة والمؤمنون .

وعن جابـر رضى الله عنه قال : جاء أعـرابى إلى النبى ﷺ فقال : يا رسـول الله ما الموجبتان ؟ قال : « **من مات لا يُشركُ بـالله شيئًا دخل الجنة ، ومن مـات يُشركُ به شيئًا دخل النارَ** » رواه مسلم .

وقولـه : (دخل الجنة) أى : إن لم يمتْ مُصِرًا على الكبائر ، وإن مـات مُصِرًا عليها فهو تحت المشيئة إن شـاء عذبه ثم أدخله الجنـة ، وإن شاء أدخله إياهـا ـ أى الجنة ـ ابتداء بفضله .

وقوله : (دخل النار) أى : وخُلِّد فيها ولم يخرج منها أبدًا لا فرق بين كِتَابِىٍّ وعابد وثَنٍ وسائر الكفرة ، ولا فرق عند أهل الحق بين الكـافر عنادًا وغيره ، ولا بين من خالف مِلَّة الإسلام ولا من انتسب إليها ، ثم حكم بكفـره بجحده ما يكفر بجحده أو غير ذلك ، أما الشرك الخفى من الرياء والسمعة فلا يقتضى أن يؤبّد فى النار إذا ماتَ صاحبها على الإيمان ... (كما جاء فى دليل الفالحين) بإيجاز .

هـذا ، وإذا كنتُ أخا الإسـلام قد استطعت بتـوفيق من الله تبـارك وتعالى ـــ بهذا التمهيد الهام ـ أن أُرسِّخ فى قلبك حُسْن الظن بالله تبارك وتعالى حتى لا تيأس من رحمة الله .. وحتى تكـون بذلك كـذلك حـريصا على أن تكـون دائمًا وأبـدًا من أهل التوحيـد الخالص ...

فإننى أرى أن أقف معك بعد ذلك على شرح الحديثين الشريفين ـــ وبإيجاز مفيد ـ على ضوء ما جاء فى (دليل الفالحين) ، فإليك :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلاً من الأنصـار ، وهو أبو اليُسر ـ كما جاء فى أقـوى الآراء التى ذكرهـا الحافظ العسقلانى ـــ وكـان قد أصـاب (من امرأة قبلـة) ، وخلاصة قصته كما يرويها الترمـذى ومن معه عنه ، قال : « **أتته امرأة ، وزوجها قد بعثه ﷺ فى بعثٍ فقالت لـه : بعنى تَمرًا بدراهم ، قال : وأعجبتنى فقُلت لها : إن فى البيت تمرًا أطيب من هذا ، فانطلقَ بها ، فغمزها وقَبَّلها ثم فزع حتى قالت له : اتق الله ، فخرج فلقى أبا بكـر فقال : تُبْ ولا تعُد ، ثم أتى النبى ﷺ** » الحديث : « فأتى النبى ﷺ فأخبره ، فانـزل الله تعـالى : ﴿ **أقم الصـلاة** ﴾ كذا هـو بحذف الـواو فى الصحيحين والتلاوة بإثباتها ﴿ **طرفى النهار** ﴾ أى : غدوة وعشيـة ، وانتصابـه على

الظرفية لأنه مضاف إليه ﴿ **وزُلَفًا من الليل** ﴾ أى : ساعات منه قريبة من النهار .

قال المصنف : ويدخل فى صلوات طرفى النهار : الصبح والظهر والعصر ، وفى زُلَفًا من الليل : المغرب والعشاء .. ﴿ **إن الحسناتِ يُذهِبنَ السيئات** ﴾ أى : يُكفِّرنها ، وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم يقول صلوات الله وسلامه عليه : « **الصلوات الخمسُ ، والجمعةُ إلى الجمعة كفارةٌ لما بينهُن ، ما لم تُغش الكبائر** » .

وفى حديث آخر رواه البخارى ومسلم : يُشَبِّه النبى ﷺ الصلوات الخمس فى محوها للذنوب ، بنهر جارٍ يغتسل منه المسلم فى اليوم والليلة خمسَ مراتٍ ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « **أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم ، يغتسل فيه كُلَّ يوم خمس مَرَّاتٍ هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء !! قال : فكذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا** » .

وقد روى مسلم فى صحيحه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من امرىءٍ تحضره صلاة مكتوبة ، فيُحسن وضوءها وخُشوعَها ورُكوعها إلا كانت كَفَّارةً لما قبلها من الذنوب ، ما لم تُؤت كبيرةٌ ، وذلك الدهر كُلّه** » .

قال الإمام الرازى : وفى تفسير الحسنات قولان . قال ابن عباس : معناه الصلوات الخمس مكفرة سائر الذنوب ، إذا اجتُنبت الكبائر ، وقال مجاهد : الحسناتُ قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ..

(فقال الرجل : ألِىَ هذا يا رسول الله ؟) يعنى خاصٌ بى : أى : أنَّ صلاتى تُذهِبُ معصيتى ، وظاهر هذا أن القائل هو السائل ، وعند احمد والطبرانى من حديث ابن عباس : « فقال : يا رسول الله ألِىَ خاصة أم للناس عامة ؟ فضرب عُمر بصدره فقال : لا ونعمة عين بل للناس عامة ، فقال ﷺ : صدق عمر » وهذا من اجتهاد عمر الموافق للصواب ، ولكن جاء عند مسلم فى رواية : « فقال معاذ : يا رسول الله ألَهُ وحده أمْ للناس ؟ » ووقع مثله عند الدارقطنى . قال الحافظ ويُحمل على تعدد السائلين ، وقوله : ألِىَ بفتح الهمزة استفهام والظرف بعده خبر مقدم ، وهذا مبتدأ مؤخر وقُدِّم عليه خبره لإفادة التخصيص (قال لجميع أُمَّتى كُلِّهم) والمُكفر بالحسنات : صغائر الذنوب المتعلقة بحق الله تعالى .

وهذه الملاحظة الأخيرة لابُد وأن ينتفع بها الأخ المسلم ، حتى يرد الحقوق المغتصبة

إلى أصحابها .. إذا أراد أن يقبل الله تعالى توبته .. لأن الله تعالى يُسامح فى حقِّه ولا يُسامحُ فى حقوق العباد .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لتُؤدُنَّ الحقوق إلى أهلها حتى يُقاد للشاة الجَلْحاء من الشاة القرناء** » رواه مسلم .

وعنه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه : مِن عرضِه أو من شيءٍ فلْيتَحلَّلْهُ منه اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا دِرْهَم : إن كان له عملٌ صالحٌ أُخِذَ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أُخِذَ من سَيِّئَاتِ صاحِبِه فحُمِل عليْه** » . رواه البخارى .

وعن أبى أُمامة إياس بن ثعلبة الحارثى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من اقتطع حَقَّ امرىء مُسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحَرَّم عليه الجنة** » . فقال رجل : وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله ؟ فقال : « **وإن قَضِيبًا من أراكٍ** » رواه مسلم .

وحول قوله ﷺ : « **فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة** » . قال فى (دليل الفالحين) : والتقييد بالمسلم لا يدل على عدم تحريم مال الذمى ، بل إنما يدل على هذا الوعيد المذكور .. فاقتطاع مال الذمى حرام لكن لا يلزم أن تكون فيه هذه العقوبة العظيمة ..هذا على مذهب من يقول بالمفهوم ، أما من لا يقول بالمفهوم فلا يحتاج إلى تأويل ، ثم قوله (فقد أوجب الله) ... إلخ محمول على المستحل لذلك وقد مات كذلك فإنه يَكْفُر ويُخَلَّد فى النار ، ومعناه أنه استحق هذا ويجوز العفو عنه ، وحرم عليه دخول الجنة أول وَهْلةٍ مع الفائزين ، قاله المصنف : قال : هذا الوعيد لمن مات قبل التوبة : أما من تاب توبة صحيحة فندم على فعله وردّ الحقّ إلى صاحبه فقد سقط عنه الإثم .

وأما عن (القضيب من الأراك) فإنه من شجر معروف يُستاك بأعواده .. بل هو أفضل ما يستاكُ به .

والآن نعود إلى الحديث الثانى الذى يتصل اتصالاً وثيقًا بموضوع الحديث الأول الذى أرجو أن ينفعنا الله تعالى به ، وبما وقفنا عليه من خلال شرحه .

فعن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إنى أصبتُ حَدًا ، أى : مقتضيه ، والمراد من الحد ما فيه حدُّ التعزير ، أو توهم أن فيه حَدًا

مخصوصًا » فأقمه عليّ ، وحضرت الصلاة فصَلّى مع رسول الله ﷺ ، فلما قضى الصلاة » أى : أتمّهَا معه ﷺ : « **قال : يا رسول الله إنى أصبتُ حدًّا فاقم فِىّ كتاب الله ، قال : هل حَضرْتَ معنا الصلاة ؟ قال : نعم ، قال : قد غُفِر لك** » .

قال المصنف ، فى (دليل الفالحين) : هذا المقتضى للحد فى كلامه معناه معصية من المعاصى الموجبة للتعزير ، وهى هنا من الصغائر لأن كفارتها الصلاة ، ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غير موجبة له لما كفّرتها الصلاة ، فقد أجمع العلماء على أن المعاصى الموجبة للحد لا تسقط الحد بالصلاة ، وهي معنى قول المصنف هنا .

ثم يشير بعد ذلك إلى ملاحظة هامة فيقول : « قوله أصبتُ حدًّا : معناه معصية توجب التَّعزير ، وليس المراد الحد الشرعى الحقيقى كحد الزنا والخمر وغيرهما ، فإن هذه الحدود لا تسقط بالصلاة » . أى : بعد تعينها كما يعلم من الوجه الآتى : « ولا يجوز للإمام تركها » .

قال المصنف فى شرح مسلم : وهذا هو الصحيح فى تفسير هذا الحديث ، وحكى القاضى عن بعضهم أن المراد به الحد المعروف ، قال : وإنما لم يحده لأنه لم يفسر موجب الحد ولم يستفسره ﷺ عنه إيثارًا للستر ، بل استحب تلقين الرجوع عن الإقرار بموجب الحد صريحًا .

وقد روى النسائى وأحمد عن النبى ﷺ قال « **حَدٌّ يُقامُ فى الأرض خير للناس من أن يُمطروا أربعين صباحًا** » .

وروى الترمذى والبيهقى عن النبى ﷺ قال : « **ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن وجدتم للمسلم مخرجًا فخلُّوا سبيلهُ ، فإن الإمام لَأن يُخطىءَ فى العفو خيرٌ له من أن يخطِىءَ فى العقوبة** » .

وروى البخارى عن النبى ﷺ قال : « **لا يحل دمُ امرىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاثٍ : الثَّيِّبُ الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة** » .

وقد جاء فى كتاب (التشريع الجنائى الإسلامى) للأستاذ الشهيد عبد القادر عودة ، ما نصه(٦٨٦) : وتمتاز العقوبات المقررة لجرائم الحدود بثلاث ميزات :

---

(٦٨٦) كما جاء فى كتاب (منهاج الصالحين)

أ ـ إن هذه العقوبات وضعت لتأديب الجاني وكفه هو وغيره عن الجريمة ، وليس فيها مجال لوضع شخصية الجاني موضع الاعتبار عند توقيع العقوبة .

ب ـ إن هذه العقوبة تعتبر ذاتَ حَدٍّ واحد وإن كان فيها ما هو بطبيعته ذو حدَّينِ ، لأنها عقُوباتٌ مُقدرة معينة ، ولأنها عقوبات لازمة ، فلا يستطيع القاضي أن ينقص منها أو يزيد فيها ، كما أنه لا يستطيع أن يستبْدل بها غيرها .

جـ ـ إن هذه العقوبات جميعًا وُضِعت على أساس محاربة الدوافع التي تدعو للجريمة بالدوافع التي تصرف عن الجريمة ، أي : أن هذه العقوبات وضِعت على أساس متين من علم النفس .

وقد أشار صاحب كتاب (منهاج الصالحين) إلى أقسام الجرائم بحسب جسامة العقوبة المقررة عليها ، فقال تحت عنوان :

* حُدود الله وحماية المجتمع

تنقسم الجرائم بحسب جسامة العقوبة المقررة عليها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : جرائم الحدود : وهي الجرائم المعاقب عليها ، والحد هو العقوبة المقدرة حَقًّا لله تعالى(٦٨٧) ، ومعنى العقوبة المقدرة أنها محددة معينة فليس لها حد أدنى ولا حد أعلى ، ومعنى أنها حق لله أنها لا تقبل الإسقاط لا من الأفراد ولا من الجماعة .

وتُعتبر العقوبة حقًا لله في الشريعة كلما استوجبتها المصلحة العامة ، وهي دفع الفساد عن الناس وتحقيق الصيانة والسلامة لهم ، وكل جريمة يرجع فسادها إلى العامة ، وتعود منفعة عقوبتها عليهم ، تُعتبر العقوبة المقررة عليها حقًّا لله تعالى تأكيدًا لتحصيل المنفعة وتحقيقًا لدفع الفساد والمضرة إذ اعتبار العقوبة حقًّا لله يؤدي إلى عدم إسقاط العقوبة بإسقاط الأفراد أو الجماعة لها .

---

(٦٨٧) كما جاء في كتاب (فتح القدير) الجزء الرابع صـ ١١٢ ، ١١٣ ، والإقناع جزء رابع صـ ٢٤٤ ـ الأحكام السلطانية ١٩٢ ـ ١٩٥ بدائع الصنائع سابع صـ ٣٣ ، ٥٦ ، وكما أشار إلى هذا في هامش (منهاج الصالحين) صـ ٥٧١ .

وجـرائم الحدود معينة ومحدودة العـدد ، وهى سبع جـرائم : (١) الزنـا ، (٢) القذف ، (٣) الشرب للخمر ، (٤) السرقة ، (٥) الحِرابة ، (٦) الرِّدّة ، (٧) البغى .

ويُسميها الفقهاء الحدود دون إضافة لفظ جـرائم إليها ، وعقوبتها تُسمى الحدود أيضًا ، ولكنهـا تُميزُ بالجريمة التى فُـرضت عليها ، فيُقال : حَدُّ السرقـة ، وحدُّ الشرب ، ويقصد من ذلك عقوبة السرقة وعقوبة الشرب .

القسم الثـانى : جـرائم القصـاص والـديـة . وهى الجرائم التى يُعـاقب عليهـا بقصاص أو ديـة ، وكل من القصاص والدية عقـوبة مقدرة حَقًّا لـلأفراد ، ومعنى أنها مقـدرة أنها ذاتُ حَدٍّ واحـد ، فليس لها حد أعلى وحَـدٌّ أدنى تتراوح بينهما ، ومعنى أنها حق للأفراد أن للمجنى عليه أن يعفو عنها إذا شاء ، فإذا عفا أسقط العفو العقوبة المعفو عنها .

وجرائم القصاص والدية خمس : (١) القتل العمد ، (٢) القتل شبه العمد ، (٣) القتل الخطأ ، (٤) الجناية على ما دون النفس عمـدًا ، (٥) الجناية على ما دون النفس خطأ .

ومعنى الجناية على ما دون النفس الاعتداء الذى لا يؤدى للموت كالجرح والضرب

القسم الثالث : جرائم التعازير : وهى الجرائم التى يُعـاقبُ عليها بعقوبة أو أكثر من عقوبات التعزير .

ومعنى التعزير التأديب ، وقد جرت الشريعة على عـدم تحديد كل عقوبة تعزيرية ، واكتفت بتقـرير مجمـوعة من العقـوبات لهذه الجرائم تبـدأ بأخف العقوبـات وتنتهى بأشـدها ، وتركـت للقاضى أن يختـار العقوبـة أو العقوبات فى كـل جريمـة بما يلائم ظروف الجريمة وظروف المجرم ، فالعقوبات فى جرائم التعزير غير مقدرة .

وجرائم التعزير غير محدودة كما هـو الحال فى جرائم الحدود أو جرائم القصاص والديـة ، وليس فى الإمكـان تحديدها ، وقـد نصّت الشريعـة على بعضها وهـو ما يعتبر جريمـة فى كل وقت كالربـا ، وخيانة الأمانـة ، والسب ، والرشوة ، وتـركت لأولى الأمر النص على بعضها الآخر ، وهو القسم الأكبر من جرائم التعزير ، ولكن الشريعة لم تترك لأولى الأمر الحرية فى النص على هذه الجرائم ، بل أوجبـت أن يكون التحريم بحسب ما تقتضيه حال الجماعـة وتنظيمها والدفاع عـن صوالحها ونظامهـا العام ، وأن لا يكون مخالفا لنصوص الشريعة ومبادئها العامـة ، وقد قصدت الشريعة من إعطاء أولى الأمر

حق التشريع فى هـذه الحدود تمكينهم من تنظيم الجماعـة وتـوجيههـا الوجهـات الصحيحـة ، وتمكينهم من المحـافظة على صـوالح الجماعـة والـدفاع عنهـا ومعـالجة الظروف الطارئة .

والفرق بين الجريمة التى نصت عليها الشريعة والعمل الذى يُحرمه أولو الأمر : أن ما نصت عليه الشريعة مُحرم دائمًا فلا يَصحُّ أن يُعتبر فعلاً مُبـاحًا ، أما ما يُحرمُه أولو الأمر فيجوز أن يُباحَ غدًا إذا اقتضت ذلك مصلحة عامة . أ . هـ .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام وكن من الحريصين على الاستفادة به على سبيل العلم أو التنفيذ فى حـدود مسئوليتك .. التى قد تـوجب عليك تنفيذ حدود الله المشـار إليها فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ **تلك حُدودُ الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** ﴾ (سورة البقرة : الآية ١٨٧)

﴿ **تلك حدود الله فلا تعتدوها ومَن يَتعد حُدود الله فأولئك هُم الظالمون** ﴾

(سورة البقرة : الآية ٢٢٩)

أسـأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا العلم النافع ، وتنفيذ حدود ه سبحانه وتعالى ..

والله ولى التوفيق .

***

(١٠١) أترونَ هذه المرأةَ طارِحَةً ولدَها فى ٱلنَّارِ ؟

عن عمر بنِ ٱلخطاب رضي الله عنه قال : قَدِمَ رسول ٱلله ﷺ بِسَبْيٍ فإذا ٱمرأةٌ من ٱلسَّبْيِ تسْعَى إذا وَجَدتْ صبيًا فى ٱلسَّبْيِ أخذتْه فألزقَتْهُ ببطنها فأرضَعَتْه ، فقال رسول ٱلله ﷺ : « **أترون هذه ٱلمرأة طارِحَةً ولَدَها فى ٱلنار ؟** » قُلنَا : لا وٱلله . فقال : « **ٱلله أرحَمُ بعبادِهِ مِن هَذِهِ بولدِها** » متفق عليه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول ٱلله ﷺ : « **لَمَّا خَلَقَ ٱلله ٱلخلقَ كتب فى كتاب**(٦٨٨) **فهو عنده فوق ٱلعرش : إن رحمتى**(٦٨٩) **تغلب غضبى** »(٦٩٠) وفى رواية : « **غلبت غضبى** » وفى رواية : « **سبقت غضبى** » متفق عليه .

وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **جعل ٱلله ٱلرحمَة مائة جزءٍ فامسك عنده تسعةً وتسعينَ وأنزل فى الأرضِ جزءًا واحدًا فمن ذلك ٱلجزء يتراحم ٱلخلائق حتى ترفع ٱلدابة حافرها**(٦٩١) **عن ولدها خشية أن تصيبهُ** » . وفى رواية : « **إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين ٱلجن والإنس وٱلبهائم وٱلهوامِّ فبهَا يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخَّر ٱلله تعالى تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يومَ القيامة** » . متفق عليه .

ففى هذه ٱلأحاديث ٱلشريفة ٱلصحيحة يشير ٱلنبى ﷺ مِن خلال إجاباته فيها إلى سعَةِ رحمة الله تبارك وتعالى ٱلتى : ﴿ **وسعت كل شىء** ﴾ أى ٱلمؤمن وٱلكافر ، .. وكل خلق ٱلله تبارك وتعالى (الرحمن الرحيم) ، قال ٱلبيضاوى : وهذا فى ٱلدنيا ، وأما فى ٱلآخرة ، قوله ﴿ **فسأكتبها للذين يتقون ..** ﴾ الآية .. إنه فى قوله هذا يشير إلى ما جاء فى الآية ١٥٦ ، ١٥٧ من سورة الأعراف ، وٱلتى يقول ٱلله تبارك وتعالى فيها : ﴿ **وٱكتب لنا فى هذه ٱلدنيا حسنةً وفى ٱلآخرة إنا هُدنَا إليك** ﴾ أى ٱجعلنا ممن كتَبْتَ له فى ٱلدنيا

---

(٦٨٨) من صحف الملائكة .

(٦٨٩) إثابة ٱلمطيع .

(٦٩٠) أى : خذلانه وعقابه لعصيانه ، والمراد بالسبق والغلبة كثرة الرحمة وشمولها ورضاه سبحانه وتعالى .

(٦٩١) بمنزلة الظلف من البقر ، والخف من الجمل ، وقد خص ﷺ للفرس ترى حركتها مع ولدها مع الخفة والسرعة فى التنقل .

ٱلصالحات من ٱلأعمال ، وفى ٱلآخـرة ٱلمغفرة من ٱلـذنوب ، إنَّـا تبنا إليك ﴿ **قال عذابى أُصِيبُ به مَن اشاءُ ورحمتى وَسِعَت كُلَّ شىءٍ** ﴾ أى : قال ٱلله لموسى عليه ٱلسلام : عذابى أُصِيبُ به مَن أشاءُ مِن خلقى ، ورحمتى عَمَّتَ خلقى كُلَّهُم .

وأُحِبُّ أن أُشير هنا إلى ملاحظة ـــ قد تكون هامة ـ وهى أنه لو كـانت الآية هذه قد انتهت عند قوله تعالى .

﴿ **وسِعت كُلَّ شىءٍ** ﴾ : لجاز لإبليس عليه لعنـة ٱلله أن يُطالِبَ يومَ ٱلقيـامة بأن يكون من أهل ٱلرحمة ٱلذين سيدخلون الجنة ـ إن شاء الله ـ .. لأنه شىء من ٱلأشياء ـ وإذا كان كـلام ٱلملوك لا يُـردُّ ، فما بالُك بكلام مَلِكِ ٱلملـوك سبحانـه وتعالى .. ولكن ٱلله تبارك وتعالى وهو ٱلعليم ٱلخبير لم يترك للأبالسةِ أحتجـاجًا ، ولهذا قـال بعد ذلـك : ﴿ **فساكتُبها للذين يتقون ويـؤتون ٱلزكاة** ﴾ أى : فسأكتب رحمتى وأجعلهـا للذين يخافون ٱلله ، ويجتنبونَ معـاصيه ، ويُؤَدُّون زكاةَ أمـوالهم لمستحقيها ﴿ **وٱلـذين هم بآياتنا يؤمنون** ﴾ أى : وٱلذين هم بـآياتنـا يُقِرُّون وَيُصَدِّقـون .. ثم بَيَّنَ ـ سبحـانه وتعالى ـ وفَصَّـل هؤلاء فقال : ﴿ **الذين يتبعون ٱلـرسولَ ٱلنبىَّ ٱلأمِّىَّ** ﴾ أى الذين يتبعون ٱلـرسول محمدًا ﷺ النبى ٱلأمِّىَّ ـ أى ٱلـذى لايقرأُ و لا يكتب ، وذلك من أعظم دلائل نبوته ﷺ ، وليس معناه ٱلجاهل ٱلـذى لم يتعلم ـ قال ابن عباس فى تفسير معنى ٱلأُمِّىَّ : هُم أُمَّةُ محمد ﷺ ... وهو ٱلمُبَشَّر به .

﴿ **الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى ٱلتوراةِ وٱلإنجيل** ﴾ أى : الذى يجدون نعتَهُ وَصِفَتَـه مكتـوبًا عنـدهم فى ٱلتـوراةِ وٱلإنجيل ﴿ **يامرهـم بالمعروف وينهـاهم عن ٱلمنكر** ﴾ أى : يأمر هـذا ٱلنبى أتباعـه بالإيمان بالله وطـاعته ، ويَنْهَـاهُم عن ٱلشرك بالله وٱلمعاصى ﴿ **ويُحِلُّ لَهُمُ ٱلطيباتِ ويُحَرِّمُ عليهم ٱلخبائث** ﴾ أى : ويُحِلُّ لهم ٱلطيبات ٱلتى أحَلَّهـا ٱلله ، ويُحرمُ عليهم ٱلخبـائث كلحم ٱلخنزيـر وٱلخمـر ـــ وٱلمراد بالطيبـات والخبائث : أى ٱلحلال من ٱلمطاعـم وٱلمشارب وٱلحرام منها ، وهذا مذهب مـالك ، وقال ٱلشافعى : الطيبات المســتلذّات ، وٱلخبـائث ٱلمستقذرات كالخنـافس وٱلعقـارب ـ ﴿ **ويضَعُ عنهم إصرَهُم** ﴾ أى : ويضع عنهم ٱلعهد ٱلذى كـان أُخِذَ على بنى إسرائيل ، بالعمل بما فى ٱلتوراة من الأعمال ٱلشديدة ـ تفسير ٱلإصرْ بالعهد منقول عن ابن عباس ورجَّحه ٱلطبرى ، وقال بعض ٱلمفسرين : الإصر الأحكام ٱلشاقة وٱلتكاليف ٱلتى يضعف عن حملها الإنسان كقـوله تعالى : ﴿ **ربنا ولا تحمـل علينا إصرًا** ﴾ وهذا هو ٱلأظهر

وٱلأرجح - ﴿ **وٱلأغلال ٱلتى كانت عليهم** ﴾ أى : وٱلتكاليف ٱلشاقة التى كانت عليهم ثم نسخَها ٱلقرآن كتحريم ٱلغنائم ، وقتل ٱلنفس فى ٱلتوبة ﴿ **فالذين آمنوا به** ﴾ أى : فالذين صَدَّقُوا بالنبى ٱلأمِّىِّ وأقَرُّوا بنبوته ﴿ **وَعَزَّرُوه ونصروه** ﴾ أى : ووقَّرُوه وعظَّمُوه ، ونصروا دينه بجهادهم معه أعداء ٱلله ﴿ **وٱتبعوا ٱلنُّورَ ٱلذى أُنزِل معه** ﴾ أى : وٱتبعوا ٱلقرآن ٱلذى أنزله ٱلله عليه ﴿ **أولئك هم ٱلمفلحون** ﴾ أى : أولئك هم ٱلناجحون ٱلظافرون بما طلبوا .

فلتكن أخا ٱلإسلام أهلاً لرحمة ٱلله تبارك وتعالى ٱلذى ورد أنه قال فى حديثه ٱلقدسى : « **ما أقَلَّ حَيَاءَ مَن يَطمعُ فى جَنَّتِي بغير عملٍ ، كيف أجُودُ برحمتى على مَن بَخِل بطاعتى ؟** » .

وليكن ماجاء فى هاتين ٱلآيتين ٱلكريمتين هو ٱلأساس فى مفهوم ٱلمعنى ٱلمراد من قول ٱلله تعالى : ﴿ **ورحمتى وَسِعَتْ كُلَّ شىء** ﴾ .

هذا ، وإذا كان لنا بعد هذا ٱلتقديم الموجز أن نقف على المعنى المراد من هذه ٱلأحاديث ٱلشريفة التى هى موضوعنا .. فإنه حسبنا أن نقف وباختصار على ماجاء فى (دليل الفالحين) من الإيجاز ٱلمفيد ٱلذى نسأل الله تعالى أن ينفعنا به ، وذلك على ٱلنحو ٱلتالى :

(عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قُدِم) بالبناء للمفعول (على رسول ٱلله ﷺ بسَبْيٍ) أى : من الأسرى .. يقال : سبيتُ ٱلعدو أى : أسرتُه (فإذا ٱمرأة من ٱلسَّبى تسعى ، إذا وجدت صبيًّا فى ٱلسَّبى أخذته فألزقته ببطنها) رحمة له (فأرضعته) لذلك (فقال رسول ٱلله ﷺ : أترون) أى : أتعتقدون (هذه ٱلمرأة طارحة ولدها فى ٱلنار ؟ قلنا : لا وٱلله) أى : لا نرى ذلك ، وأكَّد عدم ذلك بالقسم ، فقال : (ٱلله) وفى نسخة من ٱلبخارى : (وٱلله لله) بإدخال لام ٱلقسم عليه ، وفى أخرى : (لله) من غير قسم قبله ، فاللام حينئذ إما للتوكيد أو جواب قسم مقدر (أرحم بعباده من هذه بولدها) .

وإذا كان الرسول صلوات ٱلله وسلامه عليه قد ختم حديثه هذا بتلك الخاتمة ٱلعظيمة ٱلتى تشير إلى سعة رحمة الله تبارك وتعالى .. كما جاء تأكيد هذا وتوضيحه فى بقية ٱلروايات ٱلتى وقفنا عليها .. فإنه بهذا كذلك يشير من قريب ومن بعيد إلى حَنان ٱلأم وفضلها ٱلأشمل والأعم من فضل ٱلوالد .. كما يشير إلى هذا ٱلمعنى ٱلكبير ، ما ورد

فى حديث متفق عليه ، سبق التذكير بـه ، ونعيد ذكره هنا للاستشهاد بـه فى موضوعه ، ولتأكيد المعنى :

فعن أبى هـريـرة رضى الله عنه قـال : « **جـاء رجل إلى رسـول ٱلله ﷺ ، فقـال : يارسول ٱلله ، مَن أحقُّ ٱلناسِ بحُسنِ صَحـابتى ؟ قال : أمُّك ، قال : ثُمَّ مَن؟ قـال : أمُّكَ ، قال : ثُمَّ مَن ؟ قالَ : أُمُّكَ ، قال : ثُمَّ مَن ؟ قال : أبوكَ** » .

وفى رواية « **يـارسول الله مَن أحَقُّ بحُسنِ ٱلصُّحبـة ؟ قـال : أمُّك ، ثم أُمُّكَ ، ثم أباكَ ، ثم أدناك أدناك** » .

(وٱلصحـابـة) بمعنى ٱلصحبة ، وقـولـه (ثم أَبـاكَ) هكذا هـو منصـوب بفعل محذوف : أى : ثم برَّ أباك

وفى رواية : (ثم أبوك) أى : إنه معطوف على ٱلخبر للمبتدأ المحذوف .

وذلك لأن الأم بصفة خـاصة هى ٱلتى تحملت العبء ٱلكبير مـن مشقات ٱلحمل .. كما يشير إلى هذا قول ٱلله تبارك وتعالى فى الآية رقم ١٤ من سورة لقمان :

﴿ **ووصينـا الإنسان بـوالديـه حملتـه أمه وَهْنًـا على وَهْنٍ ..** ﴾ أى : وأمرنـا ٱلإنسان ببر والديه ، حملته أمه ضَعفًا على ضعف ، وشدةً على شدة .

وفى سورة ٱلأحقـاف الآية رقم «١٥» يقول تبـارك وتعالى : ﴿ **ووصينا ٱلإنسان بوالديه إحسانًا** ﴾ أى : وصينا ابن آدم بوالديه أن يحسن صحبتَهُما ، وأنَ يَبَرَّ بهما فى حياتهما ، وبعـد مماتهما ﴿ **حملته أمُّـهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْه كُـرهاً** ﴾ أى : حملته أُمُّـه فى بَطْنِها مشقة ، وولدته بمشقة . ثم لم تزل تُعانى ٱلمتاعب وٱلآلام فى تربيته وٱلسَّهَرِ عليه حتى يصبح وليدًا وناشئًا .

وكما يقول أحد الحكماء :

أحـبُّ ٱلنـــــــاسِ لى أُمِّـى ... ومَن بـــــالـــروح تفـــديني
فكـم مـن ليلـــــة قـــامـت ... على مَهْـــــــدِى تُغَطِّينـي
بصـــوتٍ هـــادىءٍ عَـــذْبٍ ... وإنشـــــــادٍ تُغَنِّينـي
تخافُ عَلَىّ مـن بَـــــــردٍ ... ومـن حَـــــــرٍّ فتحمينـى
ومِـن مـــــــرضٍ ومـن ألم ... أُنـــــــاديها فَتـاتينـى
سـأسعـى فى هنَـــــاءَتِها ... كما تَسعـى وتُـــــرضينـي

وكما يقول أيضًا أحدهم متحدثًا عن ألوالدين ، وعن ألأم بصفة خاصة :

تـــــزيل أذاك وهـــى بطيب نفسٍ ... وإن تبكى تُســـــارع بـــالعَطـــاءْ
وإن تـــدنـــو لك الأمـراضُ يـــومًـــا ... سمعت أنينهـــــا من ذِى ألعنـــــاءْ
وتمنع أحسـنَ ألمأكـــــولِ عنهـــــا ... لتأكلـــه وتـــرجـــو لك ألشفـــاء
وفيـك أبـــــــوك يُصبِـحُ فى ٱهتمام ... ويمسـى فى هُمومٍ أو شَقـــــــاء
ويطلبُ أن تَصِـحَّ لـــــه دوامًـــــا ... ويـــرجـــو أن تُخَلـــدَ بـــالبقَـاء

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى تكون على علم به .. بل وحتى تكون منفذًا للمراد منه .. وإذا كـان لنا أن نعود بعـد ذلك إلى ألوقوف على أهم ألمعـانى ألواردة فى ألحديثين ألباقيين حَتَّى ننتفع بهما كـذلك .. ولا سيّما بالنسبة للمـوضوع الذى ندور حـوله مع ألشرح ألموجز كما جاء فى (دليل ألفالحين) ، فإليك :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لما خلق ألله ألخلق كتب فى كتاب** » أى : من صُحف ألملائكة ، وإلاّ فأقضية ألله قديمة أزَلِيّة « **فهو** » ضمير شأن وألخبر جملة إن مع أسمها وخبرها « **عندهُ فوق ألعرش** » ظرفان فى محل ألحال حذف عاملهما : أى : أعنيه حال كـونه عنده ، عندية شرف ومكانـة فوق ألعرش « **إن رحمتى تغلب غضبى** » وفى رواية للبخـارى ومسلم : « **سبقت غضبى** » قال ألمصنف : قال ألعلماء : غضب ألله ورضاه يرجعان إلى معنى ألإرادة ، فإرادتـه الإثابة للمطيع ، ومنفعة ألعبد تُسمى رضاه ورحمته ، وإرادته عقاب ألعـاصى وخذلانه يُسمَّى غضَبًا ، وإرادته سبحانه صفة لـه قديمة يريدُ به جميع ألمراد ، قالوا : وألمراد بـالسبق وألغلبة هذا كثرة ألرحمة وشمولها ، كما يقال : غلب على فلان ألكرم وألشجاعة إذا كثر منه أ. هـ .

وعن أبى هـريرة رضى الله عنـه قـال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقـول : « **جعل ألله ألرحمة مائة جُزءٍ** » قال الـدمامينى فى تعليق المصـابيح على أبواب الجامع الصحيح : اعلم أنـه يجوز عنـد المتكلمين فى تأويل مـالا يسـوغ نسبته إلى ألله تعـالى على حقيقتـه اللغويـة وجهان : أحدهما ألحمل على الإرادة فيكـون من صفات الـذات ، والآخر الحمل على فعل الإكرام فيكون مـن صفات الفعل ، كالرحمة فإنها فى اللغة مشتقـة من الرحم ، وحاصلهـا رقة طبيعيـة وميل جِبلِى ، وهذا مستحيل من البـارى سبحانـه ، فمنهم من

يحملهـا على إرادة الخير ، ومنهم من يحملهـا على فعل الخير ، ثم بعـد ذلك يتعين أحد التأويلين فى بعض السيـاقات لمانع يمنع من الآخـر . مثالها هنا فيتعين تـأويلها بفعل الخير لتكون صفة فعل فتكـون حادثة عند الأشعـرى ، فيتسلط الخلق عليها ولا يصح تأويلهـا هنا بالإرادة ؛ لأنها مـن صفات الذات فتكـون قديمـة فيمتنع تعلق الخلق بها ويتعين تأويلها بالإرادة فى قوله تعالى : ﴿ **لا عاصم اليـوم من أمر الله إلا مَن رحم** ﴾ ؛ لأنك لو حملتهـا على الفعل لكانت العصمـة بعينها فيكون استثنـاء الشىء من نفسه ، وكأنك قلت : لا عاصم إلا العاصم ، فتكون الـرحمة الإرادة به والعصمة على بابها لفعل المنع من المكروهات ، كأنه قيل : لا يمتنع من المحذور إلاّ من أراد الله له السلامة أ . هـ .

هذا وقد جاء فى رواية لمسلم : « **كل رحمـة طبـاق ما بين السـماء والأرض** » « **فامسك عنده تسعةً وتسعين** » جزءًا ، وفى رواية « **وأنه أخَّر عنده تسعة وتسعين رحمة** » « **وأنزل فى الأرضِ جزءًا واحدًا** » ، وفى رواية : « **وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة** » ، (فمن ذلك الجزء) مِن يحتمل أن تكون تعليليـة ، وأن تكون بمعنى الباء أو الابتـداء أو التبعيض (يتراحم الخلائق) فى رواية : « فبهـا يتعاطفـون وبها يتراحمون وبها تعطف ألوحـش على ولدها » (حتى تـرفع الدابـة حافـرها) هـو للفرس وللحِمار بمنزلة الظلف من البقر والخف من الجمل (عن ولدها خشية) مفعول له (أن تُصِيبَهُ) وخُصَّ ذو الحافر بـالذكر ، قال ابن أبى جمرة : لأنـه أشد الحيوان المألوف الـذى يرى المخاطبون حركته مع ولده ، ولما فى الفرس من الخفة والسرعة والتَّنَقُّل ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلى ولدها .

وفى رواية ، أى : لهما عـن أبى هريرة رضـى الله عنه : « **إن لله تعالى مـائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس** » . الظرف محتمل الحالية لوصف النكرة ، والوصفيـة لنكارتها (والبهـائم) جمع بهيمة ، قـال البيضاوى : والبهيمـة كل حىٍّ لا يميز ، وقيل : كل ذات أربع ، قـال القرطبى : سُمِّى بهـذا ؛ لأنـه بَهْم عـن أن يبـين ، قال الـراغب : البهيمة مـا لا نطق له من الحيـوان ثم خَص فى التعارف بما عـدا السباع والطير ، ثم استعملت فى الأزواج الثمانية إذا كان فيها الإبـل ، وسُمِّى بذلك لإبهامه الأمر وكتمه (وألهوامّ) بتشديد الميم جمع هـامَّة وهى الحشرات ، وفى الفتح : ألهوام بتشديد الميم وهى ما يدُبُّ من ألأحناش (فبهـا) أى : بتلك الرحمة (يتعاطفون وبها يتراحمون وبها يعطف الوحش) بفتح الواو ، وهو مـا لا يُستأنسُ من دَوابِّ البَرِّ ، كذا فى المصباح ، وهو اسم جنس ، فلِذا أعاد الضمير عليه مؤنثا ، فقال : « **على ولدها ، وأَخَّرَ الله تسعةً**

وتسعين رحمة يرحم بها عباده يـوم القيامة » ، ففيه إيماء إلى مزيد الكـرم وتقوية الرجاء فى فضل المولى سبحانه .

وفى رواية لمسلم أيضًا من رواية سلمان ألفارسـى رضى ألله عنه قال : قال رسول ألله ﷺ « **إن لله تعـالى مائة رحمةٍ فمنهـا رحمة يتراحم** » ، أى : يـرحم « **بها الخلق بينهم ، وتسع وتسعون ليوم القيامة** » .

فلتكن أخا الإسلام أهلاً لهذا التراحم حتى تكون أهلاً لرحمة ألله تبارك وتعالى .

ففى الحديث الشريف المتفق عليه يقول صلـوات ألله وسلامه عليه : « **من لا يرحَم لاَ يُرحَم** » .

وألله ولى التوفيق ،،

(١٠٢) مَن أقربُ الناسِ منك مجلسًا يوم القيامة يا رسول ألله ؟

عن جابر رضـى ألله عنه أن رسول ألله ﷺ قال : « **إنَّ من أحَبِّكُم إلىّ وأقربكُم مِنِّى مجلسًا يوم القيامة**(٦٩٢) **أحاسنُكُم أخـلاقًا ، وإنَّ أبغضَكُم إلىّ وأبعـدكُم منِّى يوم ألقيامـة الثرثَارُون وألمتشدِّقُـون والمتفيْهقُون** » قـالـوا : يا رسـول ألله قـد علمنـا الثَّرثارون والمتشدِّقُـون فما المتفيهقون ؟ قال : « **المتكَبِّرُون** » . رواه الترمذى وقـال : حديث حسن .

(والثرثار) : هـو كثير الكلام تكلُّفًا(٦٩٣) ، (والمتشدِّق) هو المتطـاول على ألناس بكلامه ، ويتكلَّمُ بملء فيه تفاصُحًا وتعظيمًا لكلامه (والمتفيهقُ) : أصله من الفهق وهو الامتلاء : وهو الذى يملأ فمهُ بالكلام ويتوسع فيه ويُغْرِب فيه تَكَبُّـرًا وأرتفاعًا وإظهارًا للفضيلة على غيره .

---

(٦٩٢) أى : فى الجنة .

(٦٩٣) أى خروجا عن الحق .. والثرثرة كثرة الكلام وترديده .